قراءة نقدية لكتاب (ما بعد الصحوة)

للأستاذ عبدالله الغذامي ....!

د.حمزة بن فايع الفتحي

aboyo2025@

وقفات أولية ....[١]

١/ صعوبة نقد الأفكار :

مع مكانة الدكتور الغذامي النقدية، إلا أن نقد الأفكار الاسلامية الدقيقة من غير المتخصصين، له ضريبته وتبعاته، ومع محاولاته الرجوع الى بعض المصادر الاسلامية من أعلام معروفين، إلا أن التحليل والحكم النهائي والاستنتاجات، يكون شائبا ومتعثرا،اذا قل الجمع والرصد،،،وهو ما ستلحظه هنا، واتساع الملاحظات المدونة على تقويم الدكتور وفقه اللّه...

مع إجادته في جوانب من الكتاب، وبروز الحاسة النقدية، وجرأته في التوصيف، وهي علامة في سائر مؤلفاته، إلا أنه أبقى ثغرات للمتعقب، وفتح مجالا ثريا للردود، لأن ظاهرة ضخمة حركية، ذرعت الارض، كالصحوة الاسلامية، وطوقت العالم الاسلامي، روحيا وفكريا واجتماعيا، وقد استشرفها بعض فلاسفة الغرب ،لا يمكن اختزالها في مدة زمنية معينة، او صفة حشود كما يقال، او متجردة من الأفكار والأصول البنيوية لها،،،! والأدهى تشبيهها بالتيار القومي العروبي،،،!

وهذه إساءة بالغة للمد الصحوي المبارك،،،،! إلا اذا قصد الإعجاب بالفكرة وتشبع الوجدان بها، وقد ذُكرت بلا أدلة قائمة، وهذا تعثر عقلي ومنهجي عجيب،،! وقد قال توماس هنري (أعمق خطايا العقل الإنساني أن يعتقد شيئا دون أدلة)!

ومع أني لا أبرئ الصحوة من أخطاء، إلا أن حسناتها كثيرة، وسنشير الى بعضها، لأن الدراسات النقدية التحليلية ما ينبغي إغفالها مثل ذلك، لا سيما وانت في سياق نقدي تقويمي، تتطلب فيه الميزان العدلي، وليس التصيّد او إبراز العثرات فحسب...!

وقد كانت الصحوة بمثابة الرد المباشر على تيار الحداثة والذي المؤلف كان واحدا من ذلك الجيل، وقضت على بقايا الفكر القومي،،!!

فكيف يأتي لتقويمها وهو متجرد من نسقيته السابقة تجاه الصحوة ومخرجاتها،،،؟!

٢/ العنوان : ما بعد الصحوة،،،؟!

وكأنه يشير إلى ولادة حدث جديد او ظاهرة مختلفة،،، ! ولكأن الصحوة تلاشت وانتهت كالتيار القومي، لأن ظاهر التشبيه والعنونة يشي بذلك،،،!

والما بعدية،،،! وتهويل فكرة الحشد من اول الكتاب الى آخره ،تومئ بوصولها للفصل الختامي الأخير...!

ولم يناقش ما بعد الحشد الاجتماعي الاسلامي السابق، او يفكر بجمالية التنوع الدعوي الجديد، وان الصحوة انتقلت الى نسق مؤسسي فريد في الانتاج والحشدية والتأثير، واستقطبت كافة الأطياف، لمعطيات جديدة، ومسوغات مختلفة..

فقد لا يكون سلبيا ذلك كما أراد المؤلف، بل نهاية إيجابية أخاذة ورائقة..

إلا أن كلمة تحول (الخطاب من التفرد الى التعدد) صادقة وفي محلها شكلا ومضمونا، ونتفق معه ان الصحوة عاشت أحادية مطلقة، ورأيا مقدسا، وفردانية شديدة، تأبت على الخلاف والنقاش العلمي الى حد ما، إلا ماكان من فلتات محدودة عولجت في حينها،،!

وهي شكل طبيعي لمولود حادث، غلب عليه جيل الشباب المتدين، وقلة العلماء فيه، مع أن رموزه تميزوا علميا، ولكنهم معدودون على الأصابع،بالنسبة لمساحة المملكة الشاسعة، وانعدام مواقع التواصل، حيث لا يوجد إلا الشريط، تلك المدة ،،!

ومع تلاقيها مع النظام، إلا أنها في بلدان اخرى مقموعة، وأعلامها مطاردون، وكل تعويلهم على مشايخ المملكة، وعبر الشريط والكتيبات...!

وأتعجب هنا من إغفاله لدور الرموز الثقافي والتربوي، في نشر أدبيات الحوار واحترام المخالف، وثقافة النقد والوعي ، لا سيما من أعلام متقنين كالشيخين العودة والحوالي،،،!

وهو بارز في سيرة الشيخ سلمان الصحوية،،،،!

حتى إن الصحوة في أشد وعظيتها ومعاركها الحشدية - كما يقول مع الخصوم - كان العودة يشع إشعاعات فكرية منهجية، عزت على الأندية الأدبية والثقافية آنذاك، والتي كان الاستاذ المؤلف أحد أقطابها،،،!

من نحو:

محاضرة أدب الحوار، ولماذا نخاف من النقد ، والكلمة الحرة ضمان، وحصاد الهشيم ، والصحوة الاسلامية بشائر ومحاذير، وحديث في منهج السلف، والموقف الصحيح من الاختلاف وأشباهها.

وهذه حسنة مشهورة، أغفلها صاحب الكتاب...،!!

وعموما تراث الشيخ العلامة سلمان العودة الضخم الثري، كاف في بناء تصور فكري منهجي ، وحقيقي عن ظاهرة الصحوة المتوهجة، ولكن الاستاذ المؤلف لم يهتم بذلك البتة...!!

وأعرض عنه الإعراض شبه المقصود ..!

فالصحوة كان لديها مسار فكري، يحاول الخروج من المأزق الذي يوصفه الغذامي ، ولو باستحياء، ولم يكن العودة وعدد من أساتذة الجامعات يرضى بالأحادية الجاثمة،،،،!

ولكنها كانت فترة زمنية ومرحلة لها أسبابها الداعية للأحادية والفردانية المتطرفة والمتوجسة كما بين هو وحقق...!

ولذلك محاولته سلب الواجهة الفكرية والحضارية للصحوة، ديدن خصوم الصحوة غالبا،،! ولا يمكن للأستاذ الغذامي تبرئة نفسه من ذلك،،،!

٣/ آلة نقدية ناقصة المعلومات :

الأستاذ الغذامي مفكر وناقد سعودي متميز، وله إسهاماته الثقافية المتعددة، أستفيد منها إقليميا وعربيا ، وعرف في الثمانينيات بأنه ابو الحداثيين، وهو من روج

للفكر الحداثي، ثم في الست سنوات الاخيرة، وبعد خملة غيابية، صرح لبعض الصحف المحلية، بأنه يمد يده للإسلاميين، وليس بينه وبينهم خصومة..!

وفي نفس الظرف هاجم التيار الليبرالي الصاعد بشراسة وجهلهم، وأنهم بلا مشروع ولا منهجية، وهو كما قال، لا سيما والناقد استاذ قريب منهم وليس إسلاميا خصما لهم،،،! حتى ثارت ثائرتهم، مما حدا بالأستاذ عبد العزيز قاسم أن يستضيفه في قناة دليل في برنامجه الشهير (البيان التالي)، معتبرا ذلك بالتحول المنهجي في حياة الرجل،،.!

ومع دقة كتابات الرجل، وتوخية لمنهجية علمية، إلا أنه نبَا هنا في هذا الكتاب(ما بعد الصحوة) من عدة وجوه:

أولا: فقر النقل عن رموز الصحويين المنتقَدين، لا سيما والنقد الموجه ينصب عليهم ابتداء، لأنهم وعلى طريقته النقدية، هم من حشد الحشود، وجيش الجيوش، وخلق فكرة القانون التوجسي..!

وكتبهم متوفرة، وأشرطتهم بالمئات، وفيها توضيح جلي لبعض ما قرره..!

ويعظم التعجب هنا والاندهاش من تجاهله الشديد للعلَمين الفذين دكتور العودة والدكتور الحوالي،،،!

ولم ينقل عن الشيخ العودة إلا في موضع واحد تقريبا.....

وذلك من جهتين:

فأما الاستاذ العودة فهو العنصر الصحوي الحضاري الذكي، الجامع بين العلم والفكر، وقد لامس بعض أدواء الصحوة، وتحدث بإسهاب عن العلاقة بالآخر،،،،!

واما الاستاذ الحوالي فقاصف العلمانية بأطروحته الشهيرة، وله المواقف الجسام في الذب عن المنهج الشرعي العقدي عبر محاضرات مشهورة، لا سيما وانت بصدد ذكر رحلة الحداثة، وخصومها، فإغفال الشيخ سفر هنا علامة تعجب محيرة..!!

وحتى الشيخ ناصر العمر،،،! لم يذكره إلا في مسالة(لحوم العلماء المسمومة). والتي وظفها لظرف ما بعد الصحوة والتعددية البارزة، والانشطار الصحوي، كما يقول بعضهم، وإفناء العالم الافتراضي للنظرية العلمية السمية،،،،!

وليس هو انشطارا أو تفككا، بقدر ما هو ولوج مرحلة جديدة، وتدفق العنصر التقني ، وحصول حوادث ضخمة عصفت بالأمة من نحو زلزال الحادي عشر من سبتمبر، واحتلال العراق، وتداعيات تراجع القضية الفلسطينية ونحوها...!

فمثل تلك الأحداث كافية في إعادة النظر وتراجع المد قليلا، حيث الاستهداف الثقافي الأمريكي والغربي عموما لدولة متماسكة كالمملكة،،،!

وصدور بيان المثقفين الأمريكيين على اي أساس نقاتل..؟! في (فبراير ٢٠٠٢) وتم الرد عليه من قبل علماء ومثقفين سعوديين كذلك. وتجد البيانين في موقع(الاسلام اليوم).

ومن النقص المنهجي هنا قلة المراجع المعتمدة في رصد ظاهرة الصحوة، والتعويل على كتاب الشيخ القرضاوي(الصحوة من المراهقة الى الرشد ،') رغم ان الرجل ليس وثيق الصلة بصحوة المملكة، ولم يكونوا مروجين لطروحاته الفكرية،،،!ومن الخطأ اعتقاد تشابه الصحوات في جل الأقطار العربية، والذي نكاد نجزم به هو التباين المنهجي والفكري بينها، ولو تشابهت في السيمياء العامة، التي اهتم بها هو اهتماما جما...!

وأعرض عن بعض الأطروحات المتعمقة والمدققة من نحو كتاب (زمن الصحوة) للكاتب الفرنسي ستيفان لاكرو. وهو جيد في استجماع الجوانب التاريخية والفكرية والتحليلية للصحوة، إلا عثرات يسيرة لا تقلل من الجهد السنواتي المبذول من المؤلف، بحثا وميدانا واتصالا....

٤/ الصحوة الحشدية: وهو بهذا المصطلح المكرر عشرات المرات في الكتاب، يفرغ الصحوة من أكثر المقدمات الفكرية، حيث ادعى وبلا برهان قاطع، أن الصحوة مجموعة حشود مهولة ومتوجسة، منزوعة الأفكار، يقول (وما الصحوة الا منظومة

حشود، وهذا هو جوهرها البنيوي، ولو أزحنا الحشد عنها، لما بقي شئ يشكل تيارا) (ص٣٠)

والمقصد تجريدها من أية أفكار تحتشد حولها..!! وسيأتي بإذن المولى الكريم مطلب خاص بأفكار الصحوة.

والأعجب أن ما اتهم به الصحوة هو تورط فيه، حيث لم يقدم فكرة نصية من الموروث الصحوي الغزير اي شئ يذكر، الا نزرا يسيرا، وبنى كتابه النقدي على السيمياء والعلامات كما أبانه الاستاذ صالح الصاعدي في مقالته (صحيفة الجزيرة٢٠١٤/١٠/٢٥) وهو مزلق منهجي لطيف..!

٥/ محددات المحاكمة : للأسف طال الكلام والملام في النقاب وقيادة السيارة وحكم الاحتساب، وأغفل المؤلف تسطيحا، قضايا الصحوة الكبرى وأهدافها وتوجهاتها التي فرضتها على الواقع العربي، من نحو تجديد الاسلام والتوحيد وحاكمية الشريعة، ونبذ القوانين ومشكلة الشباب والفقر والظلم الاجتماعي، والتصدي للمناهج البدعية والتغريبية والفكرية الخاطئة، وبعض قضايا الإصلاح السياسي والأخلاقي،،،،!

تجاوزها الكاتب، ولم يشر اليها لا من قريب ولا بعيد، واختزل الصحوة في مناطق ضيقة، وهي مقدمة لتأصيل فكرة تلاشي الحشد وانتهائه كما انتهت القومية العربية،،،! وللحديث بقية بإذن الله، والسلام،....

٥/٦/١٤٣٦

أفكار الصحوة...؟ [٢]

اذا تأملت العشر سنوات التي حددها المؤلف من عام ١٤،٨ الى ١٤١٧ هجريا ،او ميلاديا كما يحلو لهم ٨٧ الى ٩٧... وجدت أن الصحوة حوت أفكارا ومفاهيم جديدة،،،؟

قد نختلف في جدتها او تجديدها، ولكنها في النهاية لم تخل من نواح تجديدية، وتراكمات معرفية عريضة، أضافت شيئا جديدا على الحركة الاسلامية والتفاعلات الاجتماعية وتحولاتها. وحققت شيئا من الوعد النبوي الصحيح الوارد عند ابي داود بسند صحيح ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((إن اللّه يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)). فهي حركة تجديد وإحياء إسلامي منير...

وأن تلكم الظاهرة البالغة المضمون والسطوع، لم تكن مجرد هدير حشدي، او تعبئة جماهيرية كاسحة، أرعبت الأنظمة والنخبة المثقفة، والفلول المستغربة ،،..؟

وأي فكرة غالبا يحتشد لها واليها، لا بد ان يكون لها أفكار ومنطلقات ومبادئ، تعمل على رسم مخططها التكويني والمنهجي والاستراتيجي، وإلا كانت ضربا من العبث،،،؟ وصحوة مجلجلة، هزت كافة الأقطار الاسلامية، وكان لبلاد الحرمين التميز والاحتفاء بها، لابد وأن تنضوي على جملة من المحددات التي تشكل وعيها ومسارها،،،؟ وأن دعوى الاحتشاد من المؤلف، ليست إلا تصورا منقوصا ومشوشا للعمل الدعوي الاسلامي،،،..؟

لأن صحوة المملكة على الخصوص حظيت بأعلام وأقمار، شعوا علوما وفهوما، ولم يكونوا من السذاجة المكتملة، بحيث لا يعدوا للركب عدته، ويحسبوا للمأزق حسبته...

ومن ذلك أشياء ومتابعات نرصدها في النقاط التالية :

١/ تصحيح التدين: بالاقتفاء الشرعي المجانف البدع، والمظهر للسنن، وتزيينه بحسن العمل والجد في الخيرات، والصرامة في الاقتداء والتنسك...! ودعواه أن التدين متوارث من آبائنا وأجدادنا صحيح، ولكنه لم يكن بتلك الصرامة في الاتباع وحسن العمل، والتدقيق في كل مناحي السلوك، ثبوتا وإلغاء، وصحة وضعفا.

٢/ تعميق العبودية للّه: لا سيما في الخطاب الوعظي الروحي، والذي حاول تعميق ذلك في النفوس، واشتمل كل مناحي الحياة، باعتبار أن حياة الانسان ملك للّه تعالى كما قال عزوجل ((قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه رب العالمين)) سورة الانعام .

٣/ الإسلام خيار الأمة الفريد: ومن خلاله قطع الطريق على الأفكار الفاسدة، والمسالك الضالة التعيسة ، فلم يُرفع شعار للتجمع والظهور والانتصار كالشعار الاسلامي، حتى ألغيت كل مظاهر العصبية الوطنية والقوميات بدعوى التنافي مع التوجه الاسلامي ..!

٤/ تقبيح الأيديولوجيات المناوئة للإسلام: كالعَلمانية والحداثة والقومية، والاصطفاف ضدها بضراوة، وهذه فكرة مبدئية أشار هو اليها، ولكنه لم يؤكد أنها كانت فكرة أصيلة في التكوين الصحوي . بخلاف رأي الاستاذ محمد ابو هلال في كتابه (خطاب الصحوة الاسلامية)، فيؤصل - عكس رأي المؤلف - مثلا للفكر الصحوي، وكيف ناهض العلمانية (فالعلمانية والعلمانيون من الثوابت الاغراضية الملازمة لفكر المؤلف الصحوي يستحضرها على نحو من التكرار الملفت للنظر) ص ١٠١

ولكن الأستاذ المؤلف لم يلفت نظره ذلك، ووظفه إن وجد لنظرية الحشد...!

ويكفي في تجريد تهمة الحشد بلا فكر، فكرة (التصدي للمنهج الحداثي) والاستغراب، وإن خالطه شيئ من التوجس، إلا أن طبيعة الفكرة قائمة على مثل ذلك، ولو دقق المنصف لاعتبر مثل ذلك فكرة ومبدأ أساسيا، ارتسمته الصحوة من إطلالتها الاولى،،،! وربما كانت هي وغيرها من وراء تلكم الحشود ..

٥/ السخط على الواقع العربي: من نحو هشاشة التعاطي تجاه القضية الفلسطينية ومحوريتها في حس كل مؤمن،وحنينية الأقصى لديهم، كما قال الشاعر الصحوي:

لندائِه في كل قلبٍ ..مؤمن وخزُ الرماحِ

أين الذين يقودهم.. للبذل ذبحي واجتياحي؟!

وهذه فكرة لا يمكن تجاهلها، وقد برزت بقوة في الصحوة السعودية المحلية، ولم تكن ظروف الصحوات الأخرى تسمح بذلك،،،!

وغالب الرموز تعاطت مع هذا الملف بجلاء وشفافية.

بدءا بالشيخ سلمان قصيما، وانتهاء بالشي عائض القرني جنوبا، وبينهما خطباء وأتباع ساروا على نفس المنوال، واختطوا ذات الطريق الساخط..!

ومن هؤلاء :

د. ناصر العمر - د. عوض القرني - د. عبد الوهاب الطريري

د. سفر الحوالي - د. بشر البشر - د. سعيد الغامدي

حتى بات انتقاد المواقف العربية ومحادثات السلام علنا، ومن تلاميذ أولئك،،،!

وتجاهل الأستاذ الغذامي مسالة الاستعانة بالقوات الأجنبية، وما سببته من جدلية فقهية بين مشايخ المملكة من جهة، وبعض رموز الصحوة من جهة اخرى كالشيخ الحوالي خصوصا، وكتابه الشهير(وعد كيسنجر)...!

٦/ التمظهر السني الصارم: من السواك وقصر الثوب واللحية الشرعية لا الثقافية، والتي يجعلها هو علامات لذلك التوجه والحشد، برغم أنها تولدت من مجموعة أفكار ذهنية،،أصاب في تطبيقها او أخطأ..!

٧/ بناء الشخصية الاسلامية الشجاعة والعزيزة، والمتطلعة الى إعادة مجد الاسلام...! وما سماه المؤلف (بالفتى الصحوي) الجاد المتوجس... والمناقش المطالع، والمفرط الثقة بنفسه..!

٨/ التمحيض السلفي العقدي النقي، الذي يضيق بالبدعة وأنواعها، ويرفض اي خطوط ائتلاف معها، وقد تجلى ذلك من غزارة التربية العقائدية، والردود الساحقة على الاتجاهات الصوفية والاشعرية، وقد تولى ذاك غالب الرموز، لاسيما الدكتور سفر الحوالي وبعض أساتذة الجامعات كالدكتور محمد سعيد القحطاني والعلامة بكر ابى زيد والشيخ عبدالله المنيع وغيرهم،،،، حتى أجمع الجميع على مفارقة المبتدعة بلا هوادة...!

وهذه قضايا لا يفطنها الإخوة المتخاصمون مع الصحوة، لأنهم ينظرون للإسلام نظرة تبسيطية هشة، وأنه يستوعب كافة الأطياف البدعية المناوئة ، دون نصح أو نقض أو حوار جاد...!

وذكر هذه الأشياء عندهم مدعاة للسخرية والضحك...!

ولذلك يتجاهل المؤلف التجديد العقدي من قبل الصحوة، وازدحام المساجد بها، خلافا للسابق... ولذلك يبدي عجبه من جعل الاستاذ السكران وفقه اللّه (ان الصحوة هي التي حاربت الشرك، وأنها التدين بكل مظاهره ومنجزاته، وأنها هي التي عرفت النساء بدينهن...) ص ٧

وكأنهم ما أدركوا ضعف التدين والتحشم السابق، او حكي لهم من آبائهم الأقدمين ..!

وبالتالي يعتبرون كل ذلك الحراك العقدي التصحيحي نوعا من الترف الفكري، ومن كتب فيها، ضيع الزمان فيما يضر ولا ينفع ،،! لأنهم دعاة للوحدة والاجتماع،،! ومثل تلك الأطروحات تفرق ولا تجمع، واللّه المستعان .

ومضة : الحشود لا تنطلق الا عبر منظومة أفكار ...!

١٧/٦/١٤٣٦

التدين وصحوة التدين...! [٣]

من بدهيات الحياة الاجتماعية، وحركة التدين البشري تراوحها ما بين القوة والضعف، والبروز والتراجع، والصحة والسقم ، وما الصحوة الا شكل من ذلك النمط التاريخي قوة وجدا وتوهجا، وأتيحت لها عوامل جعلت منها فصلا تاريخيا في العصر الحديث، واتسمت بمزايا أعلت من شأنها، ولم تضاد التدين الطبيعي للناس..!

ويرفض الأستاذ المؤلف جعل تدين الصحوة واستقامتها تدينا معظما، او مختلفا بامتياز، او علامة فارقة ...استيقظ بعد سبات، وصحا من هوان، ليجدد دينه، ويصلح سلوكه، ،،،! ويعود ليرسخ مسألة الحشود المستولية على عقله وقلمه، حتى أفرط منها في الكتاب...!

ولا أدري ما المزعج هنا، أن يعتبر الصحوة يقظة وتنبها، ورجوعا لامعا الى منابع الاسلام الصافي، وإحياء للسنن،عبر منظومة تدين رائقة متوهجة، جددت الإيمان والسلوك والروحانية، قد كانت الصحوة تمثل انفراجة في واقع كان مظلما بالبدعة والضلالة والهوى، غاب فيه الاسلام كثيرا عن المشهد السياسي والفكري والاجتماعي، ضامة الى ذلك عدد من الافكار الصحوية المبدئية، كما تقدمت الإشارة الى ذلك....ولا يعني سلامتها من الأخطاء ....!

وهي امتداد لحركة النهوض والضعف الاسلامي عبر التاريخ، ويتمثل غالبا من منهج الطائفة الناجية المنصورة، والتي تضطلع بهذا الدين وتجدده من حين لآخر،.. وفي المنتهى هي حركات إسلامية تجديدية، لا تخلو من رهق الجهد البشري، وتصب في الجملة في ارضية الاسلام الواسعة، وكما قيل في مثل عالمي(كل السواقي تصب في البحر) !!

وهذا شيخنا العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله، وهو من هو في تدقيق المصطلحات وكشف أبعادها يصف الصحوة (بالحركة المباركة واليقظة الحية لشباب الاسلام) كما في كتابه الصحوة الاسلامية ضوابط وتوجيهات ص٦

، وهو احد مراجع المؤلف، ولم يعتبرها حركة دينية مغايرة، للواقع العام...، أتت لتقصي سابقيها او لاحقيها...! او تبدّع مخالفيها منهجا وفكرا، وكأنها دين جديد...!

وعدد الأستاذ وفقه الله بعض المحاذير، الاحترازية من ربط التدين بالصحوة ...! يقول مثلا (... وهنا يبدأ الإشكال المنهجي، لأننا لو ربطنا الصحوة بالتدين فالذي سيجري بحثيا ان ننسب كل تصرف للصحوة تحت معنى الدين، ولهذا مخاطره ،،،...) ص ٥٣

وهذا تحكم غريب!

لأنه من البدهي والطبيعي نسبة كل ذي عمل الى جوهره ومعدنه،،،..!

للتثريب والتوبيخ، لا إن فعله هو الدين، إلا اذا حاجج على ذلك....!

كما إنك اذا رأيت العلماني او الحداثي يخالف حداثته تستغرب ذلك، وتدينه وتعاتب،،،! لا أنك تعتقد أن تلكم العلمانية او الحداثية،،،!

ولما وقف مثقفو مصر وليبراليوها مع العسكر، وأيدوا سحق الناس وحرقهم، استنكر أرباب الضمائر من غير الإسلاميين مثل هذا الصنيع، ولم يقولوا ان الليبرالية او الدولة المدنية تقتل الناس بمثل ذلك الشكل المفظع....!!

لكن قالوا ذاك ليبرالي- مجازا- استئصالي. لا عقل ولا مبدأ، ولا إنسانية ..!

والمقصد أن الممارسة والتعاطي تختلف عن الأصل والجوهر الذي ينطلق منه الانسان...!

وفي القرون المفضلة للصحابة والتابعين، حصلت هنات وربما كبائر، لم تلغ أفضلية تلك القرون ولا أهله ولا دينهم ، باعتبار أن التدين فعل بشري يختلف عن الاسلام وشرافة تلك المرحلة، فوجب التفريق للسلامة من الخلط...!

فالإسلام معتقد، والمسلم فاعل المعتقد ومطبقه،،وليس ضروريا إصابته وحسن تطبيقه،،،! ولكنه يعاتب اذا أخطا ويثرّب عليه،،،،!

ويقال له هل مثل ذلك، هل هي أخلاق الإسلام؟ كما يقال في السياق الديمقراطي والحداثي، هل تلكم أخلاق الديمقراطية، وأدبيات الحداثة ،،،! من باب تأنيب سوء الانتماء، لا انه هو الانتماء، لمن أدرك فروقات الأشياء ومخرجاتها وايماءاتها وتحركاتها،،،،!

والدكتور عبدالله يعتقد التماثل بين مصطلحي الدين والتدين، وهذا عجيب، وهو ناقد خبير بالمصطلحات، وعرف بالدقة والتدقيق....!

فالدين هو الإسلام المنزل من الله تعالى بالنصوص والبراهين، وهو نظام شامل لكل مناحي الحياة،، بخلاف التدين فهو فعل العبد وسلوكه وتعاطيه لمعاني الاسلام، إصابة او خطأً،،!

وما ينبغي تحميل الإسلام او المعتقد او الشريعة أخطاء أصحابها ، إلا من باب النصيحة والتأنيب كما تقدم، كما قال تعالى في العلماء الساكتين : ((لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت)) سورة المائدة . لأنهم حملة العلم والحكمة..!

والمتعين هنا أنه كان ينبغي التفريق لئلا نصل للتخليط،،! وإلا فليس ثمة تعارض بين التدين وصحوة ذلك التدين، كما استظهره الشيخ القرضاوي، وقبله ابن عثيمين ، باستدعائه المعنى اللغوي للكلمة، مستحضرا حالة الأمة المهينة، والوضع المأساوي على كافة الصُعد، وبالتالي فإن الصحوة كانت دينية تدينية بكل المقاييس، وما كان ينبغي للأستاذ الفاضل الدخول في مثل ذلك التورط والتمحل، وافتراض حشدية الصحوة بلا تدين بارز، او دين متوهج ، جُدد في أكثر مرافق الحياة، أو التجاسر بدعوى خلوها من الأفكار والمفاهيم الموافقة لتلكم الحشود.....!!

وكان في غنى عن الانزلاق الى مثل ذلك التوهم ، ولكن موقفه المبدئي من الصحوة الإسلامية، وترسبات الحداثيين ،وعقيدته السابقة عند رقم الكتاب،

جعلته يدخل بالعقل الطافح بنظرية الحشد والتجمع والترويع والتوجس، حتى فرغ الصحوة عن محتواها التجديدي والإصلاحي ....!!

- ثم ساق محاذير في خللية ربط الصحوة بالتدين، وهو (ان اي انشقاق داخل صفوف الصحوة سيكون تفرقا بالمعنى العقدي للمصطلح) ص ٥٣ .

وهذه علامة كاشفة في أن الرجل مع جلالة قدره الفكري، لم يفطن للفرق الجلي بين الدين، الاسلام من جهة، والتدين والسلوك من جهة أخرى،،،،!

لأنه لم يقل أحد من حمالي الفكر الصحوي بخروج مخالفيهم او تكفيرهم وتفسيقهم.. بل وقع ذلك من خصومهم كالفرقة الجامية، وهذا سلوك استثنائي لا علاقة له بالسياق الصحوي ولا بأدبيات الصحويين...!

بل كانوا -أعني- الرموز من أعف الناس لساناً مع العاملين في النطاق الاسلامي، بخلاف المبتدعة والعلمانيين فالوطيس كان حاميا معهم كما تقدم....! وعبارته هنا متطرفة، وطريفة هههه ومغزاها ان خصوم الصحوة كانوا يحملون ذات الفكر التبديعي في مفهوم التدين، وهي تهمة دائماً تركب على الصحوة هههه....!

ومع كثرة ما كتب.. من يسمون بالجامية، لم يرد مشايخ الصحوة عليهم، بل تجاهلوهم تمام التجاهل، وهمشوهم أعظم التهميش،،،!

وكان ذاك من أنجع الوسائل في وأد حركتهم، كما قيل :

فإن جاوبته فرجت عنه// وإن خليته كمدا يموتُ

فأماتوهم بالإعراض والتغافل، والانشغال بما هو أهم ..!

وإن ظهرت ردود فقد كانت من المحبين والمريدين...!

وما ادعاه من النزاعات الداخلية بينهم كانت من باب اختلاف التنوع، وليست تضادية الا من الفرقة السابقة الذكر، وخروج بعض التلامذة والمريدين عن أوامر الكبار كان طبيعيا جدا ومرده للاجتهاد الفرعي وليس العقدي كما يزعم...!

وهو طبيعي في كل التوجهات البشرية،،،!

بل لو قيل بالتماسك القيادي في الصحوة، ونفور الخلاف، لما كان بعيدا، بسبب الشيخين المبجلين، ورمزية الأربعة الصحويين، وقد كانوا بمثابة القيادة الشعبية، والقائمة مقام الشيخين، وقد حصل الاختلاف لعظماء عبر التاريخ الإصلاحي والسياسي والعسكري....!

فما الخطب حينئذ ؟!

ولا يصح تفسيره على كونه خلافا دينيا عقديا،،،،! وإلا كانت صحوة صيالة قتالة خارجية. أشبه ما تكون بفعائل الروافض الباطنيين او الخوارج الضالين....!

ولما كتب لها هذا التوهج المنير في أرجاء المعمورة، إذن فالواقع العملي يكشف وينفي أي تضاد عقدي حصل بين المختلفين، إلا بعض الاجتهادات الدعوية بين من سماهم اخوان وسروريين، وجامية، ولم يكفر بها الا الفرقة الجامية...! وهي من تحالفت مؤخراً ضد التيار الصحوي الاسلامي، مع الليبراليين ، وعرفوا على تويتر (بالليبروجامية)، لا سيما مع العدوان الصهيوني الأخير على (غزة)... والله المستعان.

وأظهروا من الأباطيل والمضحكات، ما يندى لها الجبين...

دعاوى يستحي الشيطان منها// ويبرأ من سفالتها الخليعُ ..!

- ومن المحاذير في تصوره وتحكيمه في الربط :

(سيقتضي اخراج كل متدين سابق على زمن الصحوة....)

وهو مبني على المقدمة السابقة الخاطئة، والجواب لو صح ذلك- مع انه لا قائل به- فإن الصحوة ليست دينا جديدا ولا مذهبا مختلفا، وإنما هي صيغة جديدة للتدين والاستقامة، جاءت للتجديد والتعميق والابراز، ولذلك احتضنت الجميع لا سيما من تغذى على موائدها...!

وجواب آخر عملي، أن غالبية موجهيها متدينون سابقون، ودعاة متقدمون على ظاهرة الصحوة، ويدرى ذلك من خلال أعمارهم وحكايتهم عن الأوضاع السابقة بكل معاينة وحسن تعايش....!

وفيهم من أدرك ايام المد القومي والنكسة والتطورات المصاحبة، ولم يخدع بتلك الشعارات..!

لأنها ممن زور التاريخ والكذبا...!

- والمحذور الآخر : الفروق الكبيرة بين صحوات الأمة من بلد لآخر...ص ٥٥

وهذا صحيح وقد أكدناه في الحلقة الأولى، ولكن الصحوة تتلاقى في كونها رجعة حقيقية الى اللّه، وعودة من جديد الى الاسلام، وبالنسبة (لمصر) كانت أسبق في الجامعات المصرية كما أفاده الشيخ القرضاوي، زمن السبعينيات الميلادية، وأذكر أنني التقيت بالدكتور سليمان الخطيب، المفكر الاسلامي المعروف ورئيس قسم الفلسفة بدار علوم المنيا، رحمه اللّه ،في زيارتي له في القاهرة، وحدثني عن صحوة الجامعات المصرية زمن الرئيس السادات، وكيف انتشر الحجاب، وسادت القيم الإسلامية،،،! ولكن الإسلاميين وهو يعتب عليهم لم يستثمروها تجاه السادات، كذا حلل هو......!!

وما ذكره عقب ذلك لا علاقة له بمفهوم التدين والمستنتجات التحذيرية، وله مقام آخر معلوم...

فالمحصل، أن الصحوة الاسلامية دينية، صبغت التدين الاسلامي بجلباب الاستقامة الصارمة، والاقتداء الجاد، وحاكمت على ذلك،.. ولم تخرج عوام الناس ولا مخالفيها، ولا تدين الآباء والعجزة...!

وفيهم من ابتلع الصحوة وتفاعل معها، وزادت من تمسكه... وبات حاضرا منضبطا لإشعاعاتها، معتبرها (فترة ذهبية)، دفعت بسلوك المؤمن وأعلت من دينونته لربه تعالى.....!

ومضة : الصحوة حركة بعث واستيقاظ، وليست منفصلة عن السياق !

٢٩/٦/١٤٣٦

أثر الصحوة الاسلامية.. [٤]

لم أكن أتصور في عالم المعرفة النقدي، ان أتجرأ في التصدي لمشروع معرفي، يقدمه قامة فكرية مثل الدكتور الغذامي، وهو يؤرخ لمرحلة تاريخية في الوسط الديني السعودي، وقد شغل الناس بطرحه ومصطلحاته، لفارق السن والفكر والقدرة النقدية... ولكن لحبي للصحوة والدفاع عنها، وكثرة الثغرات في كتابه(ما وراء الصحوة)، وملامسته بعض ما أهتم به، جرأني وجرني لمثل ذلك، وأنه لا بأس أن يناقش التلامذة أساتذتهم، ويراجع المتخصصون سواهم، للتصحيح والإبانة والتحقيق...!

وقليل من القوم، من يصف الصحوة بشكل منصف وموضوعي، وغالب من حمل عليها، ممن لديه خصومة معها، أو نحته قليلا، او أفنت مشروعه وبرنامجه، ومن هؤلاء المد العَلماني والعروبي القديم، والذين مع محاولاتهم المستميتة لم يحققوا أدنى الأهداف، وانصرف الناس عنهم بسبب التعويل العرقي العنصري، وتغييب الهوية والعقيدة، ولذلك سقطوا في(٦٧ م) ،وبدت سوأتهم للناس، وأن الائتلاف العربي، المقصي للإسلام وعقيدته لن يحدث شيئا ذا بال،،،! فوقعت النكسة، وتمت الهزيمة ،..!!

وحينما انتصروا في (٧٣ م) رفعت الراية الإسلامية، وتغيرت العقيدة..!

ولذلك ولو كنت صحوي الهوى، وأحد أبناء ذلك الجيل، لكني لن أكون المادح المطلق، ولا الهاجي التام.... بل سأتوخى العدل ،وأحاول إبراز المحاسن والمساوئ في نفس الوقت، ولن أحابي أحدا على حساب البراهين المنطقية، او المعطيات التاريخية الواضحة ،،،! وقال تعالى((وإذا قلتم فاعدلوا)) سورة الانعام .

وكان للصحوة آثار باهرة، ومحاسن منتشرة، لا يمكن اختصارها وتجاهلها، وسأعدها عدا، ثم ألامس الجانب السلبي لها، لأنها في النهاية جهد بشري، وحركة بعث إسلامي رشيد، تستقوي بالنص وقفو السلف، ولا يعني سلامتها من الجنف والتجاوز، او ارتكابها اخطاء ، لا سيما من قبل شبابها المتحمس، او بعض خطبائها المندفع،

وذلك طبيعة اي مرحلة دعوية ناشئة وقد ابتدأت بدون تأهيل مسبق، او صناعة مخبرية رصينة..!

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا// فأفعاله اللاتي سرَرنَ ألوفُ !

ومن تلك الآثار:

١/ التجديد الديني الشامل، والعودة بالأمة الى منابع الاسلام الحقيقي، حيث الصدق الرشد والسداد.

٢/ بناء الوعي السياسي والاجتماعي، لغالب شرائح المجتمع.

٣/ تأسيس نواة المجتمع المدني المبدئي .

٤/ ابراز المملكة في العمل الخيري والدعوي والثقافي.

٥/ إيجاد حاضنة شبابية، محصّنة من براثن الانحراف، وبالتالي التقليل من سعار الجريمة، الذي بدأ ينتشر هذه الأيام ..!

٦/ إثراء الثقافة الشرعية وانتشار الدروس، وطباعة الكتب وازدهار المكتبات.

٧/ تأكيد شرعية النظام وتثبيت أركانه، لا سيما وأن الحكومة تماهت معها، ومكنت لها أسباب الظهور، واعتقدت أنها بمثابة الدعائم المؤسسة والمساعدة لها، ولذلك لم تصطتدم بها ابتداء، وقد رأت فيها تزكية الشيخين، ونبذ الأفكار المناوئة، والقضاء النهائي على الافكار القومية الناصرية والبعثية الاشتراكية ...!

وأما السلبيات فكالتالي :

١/ عدم التأهيل الدعوي لدى بعض منتسبيها، او بمعنى قله الفقه والبصيرة الدعوية.

٢/ الأحادية الفقهية والمحاكمة احيانا بمذهب فقهي وحيد..!

٣/ التشدد في بعض الممارسات من نحو الموقف من المرأة، كما أفاده الدكتور الحضيف، في حلقة (حراك) مع الاستاذ عبد العزيز قاسم، واتكأ عليها الغذامي كثيرا، وكانت الحلقة في ٢٠١٣/١٢/٦ ..!

وتوسيع قاعدة سد الذرائع الاصولية، وسياتي نقاش مستقل لذلك.

٤/ تقصيرها في البنية الدعوية المؤسسية، وبرغم انها فتحت الباب، ولكنها كانت تحتاج الى الخطاب التمكيني الدعوي، والذي ينتهي الى المشاريع بعيدة المدى، والراسخة رسوخ الجبال الشوامخ ..،!

٥/ الحدة في النقد واتخاذ المواقف، وتصنيف الناس، وهذا من أشد مزالق الصحوة، وقد خسرت بذلك شرائح مختلفة، وصنعت خصوما، كان بالإمكان ان يكونوا إخوانا مناصرين،،،! ولكن كما قلت سابقا ضعف التأهيل، والحماس المفرط، وقلة الفقه أنتج مثل تلك الممارسات..!

- وبرغم ان كتاب الاستاذ الغذامي أشبه ما يكون بالدراسة النقدية التحليلية، إلا انه أغفل المنهج العلمي في النقد، فكان تحليله مهتما بالجوانب السلبيه، وهي ما يركز عليه خصوم الصحوة غالبا، فيكبرونها ويتجاهلون سواها،،،!

وحينما عقد الاستاذ الغذامي عنوانا عن منجزات الصحوة (ص ٤٢)، تقاعس وتردد عن أن يكتب ولو رؤوس اقلام عن المنجزات، سوى ما أشاد به سابقا، الفتى الجاد القارئ المترقب...!

ونقل المضربَ الى متابعيه على تويتر، وهو العنوان الوحيد الذي في الكتاب، وخص به محبيه ومتابعيه، ليُدلوا بآرائهم...!

فلا تدري.. هل هو المنظور السلبي من الصحوة، والعقيدة المسبقة المشوهة، أم تقويم جماهيري جاد، يفضّل محاكمتها من خلال المجتمع الذي عايشها.،!

ولا ريب أن الاختيار لن يكون دقيقا، ولو موضوعيا، وسيخص عينة، الله اعلم بحالها، مع استحضار ان المؤلف ليس اتباعه مِن الإسلاميين، بل الغالبية أناس مختلفون مع التيار الاسلامي، او مثقفون مستقلون...!

ومع ذلك كانت العينات المختارة، وقد بلغت(١٢) عينة، وتزيد بخمس عينات لشخص واحد اسمه الاستاذ عبدالله اليابس،،! وكان افتتاحها بالدكتور سعيد السرحاني،،، فمجموعها حينئذ (١٧) تقويما.. وقد حملت الموقف الترحيبي الإيجابي بالصحوة ، سوى موقفين حوى الإيجاب والسلب، وهو موقف نقدي فرزي مطلوب...!

وضن هو بعقليته المتوقدة،أن يكشف شيئا من الحسنات الاجتماعية والثقافية، ولو ما يتصل بالحداثة، مكتفيا بأنها قد خدمت الحداثة... لما وفرت من يقظة وملء للمكان والزمان...!

وهذه حسنة ثقافية، تكشف روعة الوعي الصحوي، واختباره للأفكار..!

ولم يحب الإشادة بها....!

واكتفى بالاشارة الى من كتب في المنجزات، كالأستاذة حصة الاسمري والأستاذ ابراهيم السكران كما في (ص٤٥)

وبما أن العنوان لا يحتمل سوى الجانب الإيجابي الانجازي، لم يترك ان يشير الى إيحاءاته النقدية السلبية، فيقول في نفس الصفحة...(وفي الفصلين الثالث والرابع وقفت على الصحوة من حيث ثقافة الاحتساب، وعلى نقد الصحوة من داخل صفوفها)

فما يعني مثل ذلك..؟! وما لازمته في هذا السياق...؟!

الا ما بيناه سابقا، وهو الموقف السلبي المسبق، والعقيدة الثقافية المشحونة من كل ما هو صحوي...!!

على إنك اذا عدت الى تلك الفصول، لم تجد الا النفس النقدي السلبي، ولا ريب ان من تداعيات ذاك، تكوين الانطباع الذهني السلبي لدى جماهير القرّاء، وان الصحوة لا تعني سوى الحشد والضغط والمحاكمة والاحتساب...!

وانتهى المشهد ،،،.هههه...!

فضائل الصحوة كثيرة ومتعددة، ولكن الاستاذ وفقه اللّه نظر من زاوية واحدة، ضاق بها المكان، وخالطتها القترة والعجاج، والسلام...!

ومضة : العقائد الثقافية المسبقة، احكام مسبقة، تخفي المحاسن ..!

١٥/٧/١٤٣٦

الرموز شكلا ومضمونا...؛ [٥]

لدى المؤلف وفقه الله، إشكالية في فهم الرمز وتعريفه، وسحبه على نظرية الحشد والتوجس، وما قرره بعد ذلك على تكسر الطبقية والتحصين الاجتماعي والشرعي..؛

الرمز في التعريف الصحوي : هو العنصر المقتدى به والمتفاعل معها تربية وتوجيها

كالأشياخ الأربعة والمسهمين بقوة في توجيهها وتربيتها ،،، وكانت اشرطتهم تنتقل كالطائرات النفاثة... وتعاين الشغف الاجتماعي بسماعها والركض وراءها...؛

وكانت كقنوات فضائية مزلزلة، وهي أشبه ما تكون بوكالات أنباء خارقة، أفقدت المتربص عقله وسيطرته، وجعلته يعيش هو التوجس المزعوم، ويحس بخطر الصحوة على فكره وتحركه ومصادره وهيلمانه.....؛

رغم أن كل ذاك ينطلق من :

- الإشعاع المسجدي.
- علمية الشيخ الآسرة.
- حسن اتباعه وصدقه.
- قوة حجته وإقناعه .

ولا يملك لا نِتا ولا مالا، ولا اعلاما مؤثرا...؛

ولذلك اعتبر هو كل شيخ رمزا، او كل متحدث او عرف بشارة دعوية، انه بمثابة الرمز، الذي ستحاسب الصحوة من خلاله، وهذا تقدير حسابي موهوم، ومنطلق نقدي غير سليم....؛

وبالتالي ستدخل الصحوة جماهيرُ المتدينين والمتحدثين، والدخلاء والأصلاء بلا استثناء ..؛

لأن رواد الصحوة ومحبيها، والمتعاطفين معها، او صناعها والمؤثرين فيها، متنوعون، ومتباينو التأثير والقدرة التفاعلية الرمزية،،،! والتي تملأ حياتهم ووجدانهم ....!

فليس مثلا كل من انتمى للصحوة يعتبر رمزا، ولا تكتسب الرمزية بمجرد حسن الصوت القرائي، او هاز المنابر برنينه وشجنه، او بمجرد التدين وصبغته السلوكية المظهرية، كلا ! الأمر أعظم من ذلك، واستطاعت الصحوة برغم أخطائها وتفاعلاتها البشرية ان تقصر (الرمزية) على ذوي التمكن العلمي المنضوي لها، والسلوك المغري البراق المؤيد لفكرها، وان تقوم بعملية فرز داخلية للصالح والأصلح، والمستبعد ،! ولذلك ثمة علماء كبار لم ينالوا هذه الرمزية، ربما بسبب موقف من الصحوة، او لأنها لم تبرزه، ودعاة آخرون كانوا خارج السياق الصحوي، ومرامز دعوته بعيدة كل البعد عن السمات الصحوية ولذلك تجاوزت الصحوة كل هؤلاء، واما من هاجمها بضراوة، فلم يشفع له علمه الفقهي، واستطاعت هي عزله تماماً !! ، وهذا ما لم يطلع عليه الدكتور الغذامي لابتعاده عن التفاصيل الداخلية، وعدم اندراجه في مشاريعها وبرامجها، وحتى استماعه لأشرطتها، مهين جدا، فلم يسم شيئا من ذلك، فضلا عن أن يفكر في الحضور،!

وتويتر لم يكشف المخبوء النفسي والمعرفي كأن لم يكن موجودا من قبل، بل كان مكشوفا من قبل .. ولكن عبر الاشرطة واللقاءات، لا سيما وسقطات اللسان أسرع من تدقيق القلم... يقول مثلا (لقد جاءت تويتر لتكشف لك المخبوء النفسي والمعرفي والاخلاقي عبر ضغطة زر، وما إن تأت تغريدة حتى ترى عبرها كما هائلا من ردود الفعل...) ص ١٣٦

ولا شك ان ذلك نوع من التطور، ولكنه لم يكن سلبا على الصحوة، ولم يهدهد الرمزية، بل تطور إيجابي لهضم الأشياخ له، باستثناء قلة لم يحفظوا السنتهم ، وليسوا من الرمزية في شئ...!

والتصور الحشدي عند المؤلف مستنتج من نادي جدة الأدبي وقاعات الدرس الجامعي، ومواقف الجوامع وحركة المرور الدائبة..،!

وبظهور تويتر وفرقعاته، تفكك الحشد، وكشف المخبوءات، وانهزت الرزانة، كما يقول..!

ولكننا نؤكد ان الرمزية اقتصرت على الرموز الأربعة الآنفي الذكر، بالاضافة الى رمزية الشيخين العليا العلامة ابن باز، والعلامة ابن عثيمين، وقد كانا بمثابة الراعيين الرسميين للصحوة، وقبلاها ورضيا بها، لأن من قام عليها ووجهها، وقومها وغذاها، كان من نبلاء القوم وعلمائهم المقتدرين، إضافة الى أساتذة الجامعات، وصلاتهم المتينة بالشيخين، كشفت عن طيب المقصد، وقوة العلم، وكبر الإتقان،،،!

فاستأمنوا عليها بلا خوف ولا خشية، ومن أمثلة ذلك:

- دفاع الشيخ ابن باز ببيانه الشهير عن (الشيوخ الأربعة)، وقد شرحه الشيخ سفر بشريط، عُرف بعد ذلك، (بالممتاز في خطاب ابن باز)، وقرأه الشيخ سلمان وعلق عليه تعليقات حسان في محاضرة صداحة مشهورة، وبات حديث الدعاة والمجالس...!

- تقديمه للشيخ سلمان في كتابه (العزلة والخلطة) من مجموعة الغرباء المشهورة،،،!

وكتابته للدكتور سفر الحوالي بالتصدي للسقاف وبعض المنحرفين عن جادة السنة والصواب، وهذا إن دل على شيئ، فإنما يدل على صيتهم البهي لدى الشيخ،،،،!

وهذا لم يتوفر لدى كثيرين من دعاة الصحوة، ولم ينبه عليه الاستاذ المؤلف وفقه الله، وكان سيكشف له خفايا في قراءته التقويمية والتحليلية،،!

ولذلك من مثل به من الدعاة والفضلاء، في تجسيد الرمزية وتكسر الطبقية الاجتماعية لديهم، بسبب فضاء تويتر، دورهم الرمزي محدود، وكان شكليا،،،!

ولم يستطع ان يضرب مثالا واحد للرموز الأربعة المشاهير، ومع ذلك فرمزية الأقطاب الأربعة المشاهير لازالت في صدارة تويتر، واعترف هو بالملايين المملينة لديهم،،! نعم شاركهم آخرون، ولكنها مشاركة محدودة، لا تقارن بصوت إسلامي مؤثر وساحر ..!

وتلألأت أسماء جديدة فاقت الوصف...!

ولذلك النماذج المطروحة خارج النص المسطور... ولو استقام لإسلامي ان يكتب نقدا لحركة الحداثة السعودية أيام الثمانينيات، لما صح له أن يورد حداثة الأطراف او المجاهيل..،! والأصح إيراد المؤسسين الحقيقيين والتمثيل بعباراتهم ونصوصهم، حتى يستقيم البحث، وتطيب النتائج ...!

وقوله بانحسار الحشد غير دقيق ، فالحشد لم ينحسر، ولكنه تشكل بوضع جديد ، وظهرت متغيرات جديدة، جعلته يعي المرحلة ويبادر الى فضاءات النت عموما ،..!

ولو قدر إعلان محاضرات لهؤلاء بالنمطية السابقة، لرأى الأستاذ الغذامي الحشود متتابعة، ولن يستطيع بعضنا قضاء بعض المستلزمات التسويقية ...!

وسيلحظ تنوعا في الحشود ، حقيقية في المساجد والجامعات، وافتراضية في تويتر والفيس واليوتيوب، ومعنوية تفاعلية في القنوات ووسائل الاعلام الاخرى..

وكان سبب هذا الانشطار الجماهيري، هو التنوع الثقافي الحادث، واختلاف المعطيات، وتلاشي النمطية السابقة، وانحسار الرموز لعدة سنوات، وانفجار العالم بحركة الويب الدائبية...

كما قيل :

انفجر العالم بالعجيبِ// لا سيما بعد اكتشاف الويبِ

وكان الحِذق الدعوي، والحصافة الفكرية والثقافية تستلزم غزو الدعاة والرموز لفضاء تلك الميادين، وقد أفلحوا وأنجحوا، ولا يزال الكثرة الكاثرة منهم محافظا على شخصيته ورزانته، رغم النقدات، وتعقبات المغرضين، ومحاولات الاستفزاز المتكررة،،،!

ولم يضرهم ذلك بشئ...معتبرين بمنهاج ربهم ((ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)) سورة فصلت .

ومستلهمين نظرية المتنبي في التطنيش الزمني:

لا تلق دهرك الا غيرَ مكترثٍ// ما دام تصحب فيه روحك البدنُ

فما يدوم سرورٌ ما سُررت به// ولا يرد عليك الفائتَ الحزنُ !

ومحصل الكلام أن الرمزية مقدمات علمية وروحية تلبسها الصحوة على من شاءت، وليس كل من التحى وتنسك وأم الناس ، بات من الرموز،،،! فما اكثر أئمة المساجد وخطبائها ، ومع ذلك،، كان تفاعلهم دعويا توجيهيا، لم يصبغ عليهم سمة الرمزية،،،،!

واساتذة جامعات بارزون ، واخرون من وراء الستر، ولم يحظوا بذلك، وجنود اخفياء، لا يعرفهم إلا اهل منطقتهم وخاصتهم،،!

اما الرمزية الجارفة، فاختص بها من سمينا، لمواصفات سبق ذكرها، ويضاف اليها حسن تفاعلهم مع قضايا الأمة وماسي المسلمين، وهو مما عزز دورهم وحضورهم، وجعل محاضراتهم وكتبهم تباع بعشرات الألوف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم..

وما نحب ان نؤكده هنا ايضا، أن الحشد قد تفكك زمن الصحوة، وعبر شريط إسلامي، أنتجه صاحبه جهلا، او حماسة، مخالفا به السياق العام، والجو المتعارف، ففرت الجموع، وقاطعته وربما تندرت عليه، وتنكر للصحوة بعد ذلك، وبات يشن عليها الحملات، ويحرك الغارات...!

والامثلة مشهورة بعد ذلك، وربما انصرف للتيار المناوئ للصحوة، وقد أشير اليهم قبل ذلك، هدى الاله الجميع...!

ولكن لعدم اطلاع الدكتور الموفق على المكنونات الداخلية ولو عبر المحاضرات السيالة، ورصده للحركة الدائبية ،قصر به القلم هنا، ولم يدقق العبارة ويمهر في التحليل كما ينبغي...!

و(ليس الخبر كالمعاينة) كما في الحديث الصحيح المشهور.

وقد نبهنا سابقا على قضية ضعف المراجع، والاتكاء على مصادر منبتة الصِلّة، وعدم النقل عن الرموز الحقيقيين، وهذا مما اثر على النتائج والمستخلصات .

ومضة : ليس كل من تدين وذاع صيته بات رمزا في الصحوة ..!

٢٣/٧/١٤٣٦

(٦) فضاء تويتر أم النت،،،؟!

لم يكن تحولات الصحوة وتفرقاتها وانتهاؤها الى ما سماه المؤلف (بالتعددية الثقافية)، من أجل فضاءات تويتر، بل تغير المرحلة، وإطلالة أدوات جديدة، تغير الإنسان بكل ما أوتيت من تأثير وصرامة..!

واجتماع عدة عوامل أو تواليها ، أثر إيجاباً او سلبا على العقلية الصحوية... ومن ذلك :

١/ وفاة الحاضنة الرسمية للصحوة، وهي مشيخة ابن باز والعثيمين رحمهما الله، وحصول فراغ وسيع، جعل كثيرين يتأثرون، ويجد آخرون فرصة للتعارض ومراجعة الأفكار والنقاشات الحرة،،،،! ولم يكونا يمنعان ذلك، ولكن هيبتهم المعنوية كانت تكفي في غلق أبواب مثل ذلك...!

على نحو تهيب الصحابة للفاروق عمر رضي الله عنه،، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يمنعني إلا هيبة لك)!

وقول أبي هُريرة رضي الله عنه (لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدِّرة) ! .

٢/ قارعة الحادي عشر من سبتمبر، كما يسميها الدكتور محمد عمارة، واستغلال الغرب لها في تمديد أطماعه، وتنفيذ أجندته، كاحتلال العراق، وتغيير المناهج، والضغط على الحريات، وملاحقة الصحوة الإسلامية، وظهور عقلية الحداثيين والعلمانيين الانتهازية والاستفزازية في توظيف الحدث، بتقبيح كل ما هو صحوي، والخطاب الدعوي، والحلق، والكتب والخطب...باسم الحرب على الإرهاب، حتى

وصلوا جوهر الإسلام، ووجدوا ضالتهم في قنوات متعطشة للنيل والانتقام، وتعبئة فراغ فكري ومنهجي لتملأه ، والله المستعان ..!

وهذه فترة مخاض صعب عانته الصحوة الإسلامية، تختلف عن فترة الثمانينيّات والمعركة مع الحداثة

وكل ذلك تغافل عنه الكاتب، ولم يجعله من مفككات الحشد ..!

على أن الحشد لم ينته كما تصور،،! فإعلان محاضرة الآن للمشايخ العودة أو الحوالي أو عايض، متزامنة مع منشط حداثي او تجاري، ستجد الجموع متدفقة وبلا تردد تجاه النبع الإسلامي الخالد، والذي تتوسم فيه الصدق والإخلاص ...!

وإن حصلت انشطارات صحوية من جراء المرارات والنزاعات ، إلا إنها آذنت بميلاد جديد لشكل صحوي مختلف .

وستتفاجأ بولادة جمهور شبابي جديد بالآلاف، يحب الصحوة بطريقته الجامعة بين مظاهر الانفتاح والخطاب الدعوي الجديد...!

وهذا ما لم ينتبه له المؤلف وفقه الله...!

وليس فقط جماهير المتنسكين بتوصيفه ،،،،!

وهذا سر جاذبية بعض العاملين في الحقل الإسلامي، وأن العلم إذا قرن بالإخلاص أثمر مثل تلك الحشود والتضامن، وأجهز على كل منافسيه في الساحة....!

ولكنهم لا يفقهون....!!

ولم تمنع التطورات الجديدة تدفق حلق القران وجمعياته بالآلاف من الشببة المتفهمين للحياة بشكلها الحضاري والتقني، وتماسهم مع آليات الحوار والتدريب وحسن التعاطي العقلي والمعرفي، وهذا مكسب للصحوة، عالج بعض أخطائها السابقة، وأنتج أجيالا متفتحة، تمارس الاتصال المجتمعي الفعّال، وتلبس العقال، ولا تقتنع باللحية الثقافية، كما يسميها المؤلف ...!

٣/ ولادة العالم الافتراضي قبل التويتر، وقد كانت مؤشرات التغيير بادية من تلك الولادة الالكترونية، فرأينا التنوع المعرفي، والجدل الفقهي، والتركيز على العلوم الحديثة، وموضوعات التطوير والاستثمار والتنمية وعلاج السلوكيات، وأشباهها ، حتى اتسعت العقلية الصحوية إلى حد ما،،،، لا أقول إنه كان محل الطموح، ولكنها خطت الخطوات الأولى إلى الوضعية الحضارية والجديدة،،،،! ولولا التعامل الأمني الذي مورس على الصحوات في مشارق الأرض ومغاربها، لرأينا نماذج إسلامية باهرة...،!

ولحصل التمكين المؤسسي المبكر، ولكن قدر الله وما شاء فعل، ولكل مرحلة ظروفها وتحدياتها ومعطياتها...!

ولذلك نعتقد أن امتزاج الدعاة بالنت طور من أساليبهم وزاد من أفهامهم، وأوصلهم بالعالم الفكري والحضاري والثقافي والتقني البارز، وبات التفكير الوقتي كيف أوظف تلكم المجالات للدعوة الإسلامية وتطلعاتها، وتجاوز كثيرون منهم محطات التقليدية والسطحية والتفكير البدائي والضبابي، وبتنا نسمع مصطلحات التطوير والتجديد والخطة والرؤية، كما لم تكن من قبل.....!

ثم جاء تويتر بعد ذلك، وزاد من التوهج الالكتروني، ولكنه زاد بأشياء أخر من نحو :

١/ تسريع العلاقة وتفعيلها في إطار جمعي لصيق ومتنافر التوجهات، عبر حروف محددة، لا يمكن الفكاك عنها .

٢/ حصره للمتابعين وتنويعهم، بحيث باتت الشهرة أو الإشكالية أو الإثارة والتربص، أو الانتقاد سببا للمتابعة، وليس مجرد الشهرة والحب، أو الولاء...!

وبالتالي تابع الأضداد والخصوم بعضهم بعضا، من باب التوجس والتربص والتندر وغيرها، فحصل الفحص الحواري، والطحن الثقافي.

٣/ الحشد والإثارة الاجتماعية والثقافية من خلال الهاشتاقات والوسم الممنهج، والذي سرع من عملية النقد الاجتماعي والفكري، وأسهم الحصر اللفظي فيه إلى قلة الكلام وتدقيقه وروعته، والاعتماد على الروابط والصور والملحقات ...!

٤/ تكوين الانطباع السريع بسبب قلة الأحرف او تدوير التغريدات، لا سيما عند حضور العقيدة المسبقة تجاه صاحب الحساب، مع استحضار وجود أكثر الطوائف المجتمعية بشكل غير معروف سابقا، ووجود حسابات وهمية وشكلية وتنظيمية لمقاصد معرفية أو حزبية ...!

٥/ حلحلة الدوائر العامة الكبرى لكل طيف فكري، فتعاين في باحته الثقافية الإسلاميين بتنوعاتهم، والليبراليين بمدارسهم، والقوميين بتوجهاتهم، والعلمانيين بأفكارهم ، وغيرهم وغيرهم،،،،،، ولم يبق الجدل المعرفي بين إسلامي وليبرالي، بل تجد الإسلامي مع الإسلامي المتطرف وسجال هجائي، فاقد للأدب والمروءة، وتلقى ليبراليا يفصح فكر ليبرالي قد امتطاه الاستبداد، ويوثق ذلك بالمقالات والصور،،،! والمقصد أن أهل البيت الواحد حربهم ضروس، وصراعاتهم دامية إلا في أقل الأحوال،،،!

وبدلا من أن يتحدوا أمام عدو مشترك، فرغوا شحناتهم الداخلية أمام فصيل داخلي خالفهم في آراء محددة....!

نعم كان ذاك في السابق، ولكن تويتر غذاه وجمعه في ساحة واسعة، تبدو لتسارعها كالحلبة الضيقة،،،،!

٦/ وجل هذه العوامل والمؤشرات أشعلت من الالتهاب التويتري، حتى فقد الحليم رزانته، والداعية وقاره، والليبرالي مبدأه، والعلماني دعواه، ولكن لم نصل بحمد

الله ،إلى مرحلة التكشف الصحوي كظاهرة عامة، في النطاق الإسلامي، ولكنها حالات فردية، ولذا بقي أفاضل كما هم، باستثناء الغلاة في كل الأنحاء...! نعم تقدموا في الحوار والالتصاق الاجتماعي، ولكن لم تنهر حُصُنهم الأخلاقية والمبدئية، ودعوى تكسر الحصانة بأمثلة محدودة لم يكن مسعفا للبرهنة على تلكم الدعوى، كما تقدم ، والله الموفق....!

الموقف من الحداثة..؟(٧)

من أعاجيب الكتاب أن المؤلف شرّح الصحوة تشريحا واسعا، وبلغ بها التحليل المفصل، ملاحظاً علاماتها، راصداً لتفاعلاتها، فيما اختطه له..؟

ولكنه كخصم حداثي، لم يكشف للأناسي حقيقة هذا المصطلح ومراميه، وما المراد به وما عواقبه، متهما كل نقد قدم لها من الطرف الإسلامي، بأنه مبالغ فيه،،، توجسي،،،، ظنوني،،،، مجزوء، خال من البراهين، اعتمد نصوصا غامضة .،؟

ولذلك تلحظ تهوينه من جهد الدكتور عوض القرني ...ص ٨٨

إلى درجه وسم عمله في الحداثة بأنه، تكون من(مجاميع الشباب) وجهودهم وقصاصاتهم،.. وبلا ضابط منهجي....؟؟

وتحت سلطة الاحتساب كما يقول... ص ٨٨

واتهم الشيخ عوض بمحاولة مخادعة القارئ،،،.. وأن كل تلك الحركة الضدية، منضوية تحت (مشروع تشويه الحداثة)...؟

وما كان ينبغي له - مهما كانت الخصومة - مخاطبة مفكر عال، له وعليه- كالدكتور عوض وفقه الله، بهذه اللغة المزرية، والمستنقصة، لمن لا تخفى عليه أبجديات البحث العلمي والنقد الفكري...؟

ولا أظن أن مثل هذه التعليقات الموجزة تملك السعة والوقت لمحاكمة الرجلين وحججهما، ومن حق أستاذنا القرني أن يدافع عن نفسه، ودفاعي هنا سيحمل على ان الاسلاميين يدافعون ويتخندفون ضد خصومهم...؟

ويا ليت أنه رأف بحالنا، وقدم تعريفا ، أو رؤية منضبطة عن الحداثة، ليقف المواطن السعودي البسيط على مدلول هذا المصطلح المنفتح الفضفاض، والذي كثيراً ما يتهربون من تعريفه...؟ أو يعرفونه بطريقة مسطحة لمخاطره وتداعياته.....؟

وسحب جهد مجلة(البيان) الفكري على ذلك، وكأنه لا يعدو إلا شكلا من أشكال التجييش الاجتماعي العام، الذي مارسه القرني، وكذلك صاحب كتاب (الحداثة من منظور إيماني)...!

وخلاصة ما رقمه الأستاذ الغذامي هنا، التقليل من هجمة الفكر الحداثي والتغريبي، علاوة على أنه لم يحدد ماذا يرومون ويرمون من محاضراتهم تلك، وضجات المجالس الثقافية، وإنما كانوا يدارون الحشد العلمي.... أقول، وليس البشري بالأفول أو الانزواء والمخاتلة والمداراة،..!

لأن الصحوة ومع صرامتها تلك المرحلة، إلا إنه كان ثمة صوت واع، يسمع ويناقش ويحلل ويعقب... ولذلك مواقف ونماذج حصلت إبان تلك المرحلة...!

وعوداً على مصطلح الحداثة والتغريب، أعرفها من كتب ومقالات الحداثيين والعَلمانيين وفلاسفة الغرب أنفسهم...، وهو في كتابه لم يعرفها البتة، ولكن عرفها في لقاء متلفز أنها (التجديد الواعي)...!

فيقول مثلا "جيدن" الحداثة : (تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي)..!

ويقول تورين في كتابه (نقد الحداثة) هي (أن تستبدل فكرة اللّه بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد)..

وفي نطاق مثقفي العرب ومفكريهم، يقول أدونيس في كتابه الثابت والتحول: (هي الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام).

ومرة يقول ردا على من يفرق بين العرب والنموذج الغربي في التحديث (لا نقدر أن نفصل بين الحداثة العربية والحداثة في العالم)!

ومثل هذه التعريفات كافية في التخوف من الحداثة ودعاتها، وصناعة العقل التوجسي لدى خصومها،،،! لا سيما وهي تعني رفض الموروث القديم بما في ذلك الوحي، وصياغة الحياة بالمحددات العقلية فحسب....!

وتحديده لها بالتجديد الواعي، لم يعينه، وهل يعني تجديد القديم، أو طرح والركون للوافد الحديث...؛

وهنا ترميز وتضبيب وتضليل...؛

ولو لم تقم الصحوة إلا بالتصدي لمثل هذه الفكرة لكفاها فخرا،... وكفاها مجدا وذكرا، تخندقها وتوجسها الفكري، بل يكون ذلك من الحذر المحمود، والحيطة الذكية الاستباقية...؛ وربما يتضاحك الدكتور الغذامي من هذا الكلام ويتهمنا بالداء التوجسي الداخلي،،؛ وهو يتجاهل حرب الأفكار الحديثة، ويضرب صفحا عن مشاريع الغرب الفكرية وغزواتهم المستديمة تجاه الأمة وفكرها وعقيدتها... لأن المقدمة لديه شبه معدومة، أو يعيش اندهاشا بحداثة الغرب، ويقصرها على العمران والتصنيع والتكنولوجيا ....؛؛

وأما التغريب فمذهب فكري آخر لا يختلف كثيراً عن الحداثة، إن لم يكن جزءا او أثرا من آثارها، فيعرف بأنه (تيار فكري ذو أبعاد سياسة واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمة الاسلامية والعربية بصبغة غربية)...؛ وإنتاج الجيل المنبهر بالغرب واكتشافاته...؛

ولكن المهووسين بالغرب يتجاهلون ذاك، وإذا اعترفوا بالاستشراق ، لن يعترفوا بالتغريب...؛

وحتى مع النصوص القطعية في التحذير من الانسلاخ والانبهار بالآخر، ربما لا يصدقون، أو يتوجسون من الفكر التآمري ففي الحديث : ((لتتبعنّ سَنَن مَن قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه))، قلنا: يا رسول اللّه، اليهود والنصارى ؟ قال: ((فمَن؟؛))].

فالمؤلف هداه اللّه، سطح الحداثة تعريفا وسلوكا، وتحامل على كاشفيها، ولم يذكر لها تعريفا محددا، وفي نفس السياق، لم يُبين لجماهير الأمة والوطن ماذا يرورمون من الدعوة الحداثية...؟؛

هل المراد تحديث المجتمع صناعيا وإحداث ثورة صناعية وتكنولوجية وزراعية...؟! أو المقصد حداثة فكرية، بتغيير أدوات التفكير ، وإلغاء التفكير التقليدي الباهت،،،؟! أو خصوصيتها بالأدب والشعر ..!

أو نقل الحياة القروية من مسلكها للنموذج المدني المتحضر...؟! لم يحدد كل ذلك...!

أو أن الحداثة التواصل المعرفي بالأمم الأخرى وترجمة كتبها، وحمل ما لديهم من محاسن، وتكوين لجان للزيارة والمؤتمرات ... وأيضاً لم يحدد...!

بل اكتفى وجمهور من معه، بمنابذة الصحوة، وجعل المصطلح ضبابيا،،، مع أن الشاعر أدونيس كان أكثر صراحة حينما عرفها وقال (الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام)

لأن مصطلح السلفية لا تعني القديم في حسه فحسب، بقدر ما لها من تجليات ومرامٍ، مرتبطة بالواقع المحلي، والنموذج المذهبي المسلوك في المملكة، وانتشار دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه، ذات الصِّلة بالاتجاه السلفي المتين......

وأما ادعاؤه أن الصحوة خدمت الحداثة حينما صيرتها (العدو الأخطر فوجهت سهامها لها...) ص: ٣٥ . فليس على إطلاقه، لأن الصحوة حتى وإن أبرزت وخدمت، فقد نبهت ووعت، لأن من مجالات الصحوة وتأثيراتها (منطق الكلمة والمحاضرة)، والنوادي الأدبية حاولت اللعب والاستقطاب من خلال الكلمة والقصيدة والقصة، فكان لابد من التماس يوما من الأيام ...!

وتعتقد الصحوة آنذاك أن أية مزاحمة لها في الفضاء العام والإعلامي، يشكل خطرا لها ولوجودها، لا سيما ما يلتصق بالفكر والثقافة والجوانب الأدبية، ذات الطلاء الرمزي والتمويهي...! وبالتالي خرجت محاضرات العودة والحوالي معالجة شيئا من الجانب الفكري، وقبلهم كتاب القرني وأشرطة الغامدي، والتربية الفكرية التي انتهجتها مجلة البيان الشهيرة...!

وكل ذاك يعطيك انطباع المحافظة واليقظة الذهنية لدى الصحوة ورموزها، وهو ما حرصت عليه الهيئة العليا للمشيخة، وترسم العلامة ابن باز رحمه الله لذلك، وارتياح الدولة وفقها الله من ذاك الاستيقاظ المحمود..!

ولا تزال الحداثة بالمنظور الغربي محل تصدي الصحوة لها، وهي وإن خف الطلب عليها، بسبب تفرق أقطابها، إلا أنها تزيت مؤخراً بزي (الليبرالية) والعداء مستحكم هذه الأيام، ولا يزالون بطروحاتهم نخبويين محدودين كما أشار المؤلف،،،! وتغيرت المصطلحات ولكن الأفكار لم تتغير، بل ربما تجددت، وجوهر الخلاف لا يزال قائما، والصحوة بفكرها وحشدها ومسجدها ومواقعها، لا تزال حاضرة، وأولئك بصحفهم وقنواتهم، والطريف أننا غزونا الإعلام وزاحمناهم، بينما هم لم يخترقوا مساجدنا لهذه الساعة،،،! نعم وظفوا طائفة مشبوهة لدق إسفين، ولكن لا يزال الفشل يشل حركتهم، والله الموفق...

ومضة/ رمزية الحداثيين وغموضهم مما أشعل الصراع، وعجزهم عن موقف واضح..!

٧/٢/١٤٣٧

الصحوة الفكرية...!(٨)

لا يمكن لصحوة إسلامية رشيدة، قامت على الكتاب والسنة بفهم السلف، وديمة التجديد الشرعي، أن تنفك عن مسار فكري محدد، يحمل في مضامينه محددات وأصولا مخصوصة،،،! وإلا كنّا في باحة من العبث، ونتكئ على آرائكنا في وادي النسيان والشرود....!

وبرغم كل ما قيل عن الصحوة، ونجاحاتها وإخفاقاتها، إلا أنها كانت (لمعة وضيئة) في التاريخ الدعوي وغلبت إيجابياتها على سلبياتها، ومحاسنها على غوائلها، وما كُتب ضدها و(ضُخم)، لا ينسحب على الجوهر والأصل، وإنما وقع من جراء تعاطي الأتباع والممارسات الخاطئة، ووظفت قضايا للانتقام، كالحادي عشر من سبتمبر،،! وإلا فلا يصح في الموازين النقدية (العادلة) حمله على أس الصحوة وعمدها، وإلا كنا معادين لكل ما من شأنه إسلامي، جاء للتجديد، وإعادة الأمة إلى ربها....! وفي القاعدة المنهجية القرآنية لو أنصف خصومها ((ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى)) سورة المائدة .

وغالب النقَدة، لا يقولون بذلك، أو يريدون منهجا إسلاميا على الهوى والمقاس،،،!

وقلة من العَلمانيين يصرحون بمعاداة الإسلام، وهو كاشف عما في ضمائرهم من زندقة وعدوان مقيت،،،. وحسبنا الله ونعم الوكيل....!

وما أحب تسطيره هنا بعد هذه التوطئة، أن أبين أن للصحوة جانبا فكريا، قائم على (صناعة الوعي)، وبناء البصيرة، وتجييش الرأي العام تجاه صحوة العقول، ووثبتها من غفوتها، وتغافلها وكسلها، لتحقيق أهدافها المرجوة، لا سيما وقد كانت أهدافا جليلة تتجاوز قضية إصلاح الناس وهدايتهم،،،! يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (العامة تقول : قيمة كل امرئ ما يُحسن ، والخاصة تقول : قيمة كل امرئ ما يطلب) ....

وبالتالي لايسوغ اختزال الإبداع العقلي، فنيا أو رياضيا أو أدبيا كما صنع رموز الحداثة، عند من يسميهم مبدعين..! ومع تراخي الأندية الأدبية آنذاك، وتقصير

المنافذ الصحفية، كان المسجد هو من يصنع الرسالة الفكرية، ويجسد القواعد الأساسية للتفكير الإسلامي الحديث...

ومن أبرز من أدى ذلك العلامة الدكتور سفر الحوالي شفاه الله تعالى، والذي تجوهل تماماً في الكتاب...!

- فلم يُعرف عن الشيخ الحديث الوعظي الترقيقي، بل غلب عليه لغة الفكر والأرقام والنقد الفكري والمذهبي، والتثقيف التحذيري الفكري من الخطر الغربي والعَلماني والبدعي، كما اتضح ذلك مع طلائع أزمة الخليج....

وأذكر أن بعض إسلاميي الأردن المشاهير، قال وقد قابلته قبل أكثر من عقد من الزمان، أن شيخي الصحوة يقصد سفرا وسلمان، قد أيقظا الأمة (يقظة فكرية) مثنيا ومبجلا لهما،،،! فالشيخ سفر مثلا :

- يشرح (متن الطحاوية) عصرا ويختم من المغرب إلى العشاء بالمطارحات الفكرية والنقدية الاجتماعية والإعلامية ، ولذلك يتزايد الحضور النخبوي الشبابي عَقيب صلاة المغرب .

- برزت السياسة على السطح، وتكون الوعي السياسي عند أصاغر الشباب، وبات السؤال حاضرا عن هموم المسلمين، والآصار المضروبة عليهم من الغرب والأنظمة المستبدة...!

والعجيب أنه وبسبب تدقيق الشيخ السياسي واطلاعه وفهمه الشرعي، أنه تنبأ بما عُرف موخرا (بالربيع العربي) وقال كلاماً ثريا ومركزا، تحقق أكثره، قبل أكثر من عشرين سنة، وذلك في محاضرة عُنونت أظن (الشيوعية بين السقوط وإعادة البناء). فكان حدسه دقيقا كما قال البارودي :

ولستُ بعلاّمِ الغيوبِ، وإنّما // أرَى بِلِحَاظِ الرَّأْيِ ما هوَ واقِعُ

وبالمناسبة هنا له محاضرة عن أهمية (الدراسات المستقبلية)، والعالم الإسلامي في ظل الوفاق الدولي ..

وقد أشار اليه صاحب كتاب (صدام الحضارات) المدعو (هانتغتون)، وكذلك مدير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية كوردسمان، ذكره والشيخ سلمان العودة أيضا،..

ومن كتبه الشهيرة :

- أطروحة العلمانية ونشأتها .
- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى
- الانتفاضة والتتار الجدد.
- يوم الغضب.
- تطور الحداثة والفكر الغربي.
- بيان عن الأحداث بعد الحادي عشر من سبتمبر .

وهذه وأخريات بعد المدة المؤقتة بزمن الصحوة، ويمكن الاستفادة منها، واستمرارية الشيخ سفر في بناء العقلية الصحوية ...

وكتب (نصيحة وذكرى) للتيار الغالي المتطرف، ولم يشر الأستاذ المؤلف إلى ذلك، وكيف أسهم الحوالي وغيره في تفكيك (خطاب العنف)، وتحذيرهم من خيار مواجهة الأنظمة ...!

وهذه مبادرة عملية إصلاحية، لم يعتبرها هؤلاء ولم يثمنوها من الأصل ...!

ورد على الورقة الشيعية المتطلعة برسالة في غاية الروعة (عندما تحكم الأقلية الأكثرية) دفاعا عن استحقاقات الأكثرية، ولم يحرم الأقلية ! وعراها بمقدمات منطقية وشرعية، لم يفه بها أحد من التيارات الأخرى..! وصمت القوم، لكأن الامر لا يعنيهم...!

وأسهم هو وبعض رموز الصحوة كالعودة إلى رسم عقلية شاب إسلامي، متمسك بعقيدته، ومطلع على واقعه، وأسسا لمنطلقات الفكر الثقافي والسياسي الإسلامي

المتين...! وللشيخ سلمان عشرات المحاضرات المؤصلة للقضايا الفكرية وطريقة التعاطي معها،،،!

وطبعا أعرض الأستاذ المؤلف عن كل ذلك، ولم ينبس فيه ببنت شفة....!!

برغم احتواء هذا المخزون الصحوي عن جملة أفكار استراتيجية للتيار الصحوي..!

والشيخ الدكتور ناصر العمر وفقه الله، أصل لقضية الفقه الراهن برسالته الشهيرة(فقه الواقع) وأنه من ضروريات الحياة للداعية وطالب العلم..،! وهي مقدمة فكرية ، ولا تخلو من بعض المحددات الفكرية للتفكير الشرعي الاستراتيجي

ولكنه فاته ذلك، ولم يشر إليه، واستمر مستمرئا ومستلبا، ومشيدا بنظرية الحشد والحشود ،...!!

وغيّب الأساس الفكري لكل ظاهرة، وحتى الظواهر الغبائية والغوغائية عبر التاريخ، كانت تستند الى أسس فكرية ، صحت أو بطلت، وإلا كيف تجيش لها الجيوش، ويقتنع بها الأتباع، من نحو قناعة التجار الصغار بكبيرهم لوفرة ماله، وسيطرة زعيم القبيلة مع تخلفه وبساطته، بسبب مجده القبلي، أو سلالته العريقة وما شاكل ذلك...!

فما بالك بظاهرة عالمية اكتسحت البقاع، وتمددت تمددا أرعب الأعداء، ولم يكن لها ذاك، لولا التصاقها بالعلم الشرعي، واستنادها لقيم فكرية تنطلق منها، وتثابر لتحصيلها..

والمحصل أن الصحوة المحلية لم تكن مجرد خطاب وعظي ترقيقي حاشد، بل انطوت على أصول فكرية وعناصر استراتيجية، قد أشرنا لها في مقال سابق، وهنا أكدنا على طريقة أقطابها في التأصيل الفكري لها، وأن رموزها الأفذاذ لم يغفلوا هذا الجانب، ومنحهم الباري تعالى بفضل اطلاعهم العميق وصدقهم الدعوي والإصلاحي اهتماما زائدا بذلك، حتى اتهمهم بعض الجهلة، ومن لا خبرة له بالخروج عن مذهب السلف،،! وتوقعوا أن مذهب السلف شكل من الدروشة والسطحية المضحكة،،! كما يفعل أقطاب الصوفية المنغلقة أو منتحلي السلفية وأدعيائها، والتي اتخذ منها الاستعمار والاستبداد مطية لتحقيق مقاصده، والله المستعان .

ولا ارتياب أن أولئك جنَوا على التدين والديانة، وجعلوها خارج الحدث، وتحملت أرزاء من جراء الفهم المغلوط للتدين والنسك،،،! وهذا الخليفة العبقري عمر رضي الله عنه مع زهده وورعه الشديد يقول (لستُ بالخَب ولا الخب يخدعني)!! والمعنى لست مخادعا ولا المخادع الغر يخدعني، وتلكم هي اليقظة العقلية والنباهة الشرعية، ولا يستطيع الزهد السلوكي سدها بغلاف مطبق، إلا أن يكون زهدا مختلا...!!

وهو ما يجب توافره في الشخصية الاسلامية، لا سيما الدعوية القيادية كما قال تعالى ((أولي الأيدي والأبصار)) سورة ص . قال قتادة رحمه الله : قوة في العبادة وبصرا في الدين ... والسلام.....

ومضة / لكل ظاهرة عالمية أسس فكرية تنظم حشودها...!

٢٧/٤/١٤٣٧

مزايا الصحوة المحلية (٩)

برغم تأخرها عن بعض الدول كمصر العربية كما زعم المؤلف وفقه اللّه ، إلا أن الصحوة المحلية، أقصد في المملكة، كانت الدينمو الحركي والإشعاعي لبقية الصحوات وحركات البعث الإسلامي، واستطاعت في وقت زمني يسير، من أخذ زمام المبادرة والقيادة ، والسبب يتجلى بالنقاط التالية :

١- القاعدة العلمية الشرعية المستندة إليها، بفضل ازدهار حركة العلم وتدريسه، والذي بُخست فيه أكثر الدول الإسلامية، ولم تكن ظروفها التاريخية والسياسية تسمح لها بذلك .

٢- رعاية الأعلام الأجلة لها لا سيما الشيخان الجليلان ابن باز وابن عثيمين رحمهما اللّه تعالى، وتزكيتهم لرموزها، بل لقيّهم بهم في(مجالس دورية) للمناصحة والتوجيه والتسديد، مما أذكى شعلة الحماس في نفوسهم، ولم تكن عناية المشايخ الأكابر بها عاطفيا فحسب، بل علميا وفكريا، وأنه لا خوف من ورائهم، رغم كل التهم الملقاة جزافا، وتركيز المؤلف أن ذاك تعاطف مبالغة وعدم فهم للمشهد الصحوي،،، ! يقول مثلا (وقام الشيخان،،، فعلا بدور رمزي كبير وفعال، مع تيار الصحوة والتعاطف معها، والدفاع عنها، والتوسط لها ،،،،) ص ٢٤

(وهنا تتغلب الصحوة باستحواذها على تعاطف قوي ، عبّد لها كل الطرق...) ص ٢٥ .

وليعلم أن التعاطف تم وراء قناعة محققة بمكانتهم العلمية والقيادية، لا سيما واستماع العلامة ابن باز لشرائط الشيخ العودة في (شرح بلوغ المرام)، ودفاعه عن الدكتور عائض في محنته الأولى . ودفاع كذلك العلامة ابن جبرين رحمه اللّه عن سلمان وسفر، شع واشتهر، ورده على من أساء لهما .

وعلى إثر هذه العناية، تلألأ الإنتاج، وتوهج الجوهر، وبزغت غراس علمية ودعوية تربت على منهج سلفي عميق، واستطعمت درر كتب الأسلاف الراسخين بدءا بالحفاظ ابن تيمية والنووي وابن حجر وابن القيم وابن كثير وابن رجب، ومرورا بكتب مشايخ اليمن الشوكاني والصنعاني وابن الوزير، وانتهاء بتراث الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب المستديم هنا، وبعض أئمة الدعوة والعلامة ابن سعدي، ونظرائهم، رحم الله الجميع .

٣- ثقة الأمة في بلاد الحرمين ومهبط الوحي، وخيريتها، وأن الإيمان يأرز إليها كما تأرز الحية إلى جحرها، وشكلها المحافظي يجعل صحوة الإسلام وعودته إليها أقرب من كل شئ ، كما يقول هو في (حكاية الحداثة)... وهذا يعني أن هناك علاقة قدرية بين هذا المجتمع والمحافظة، سواء في سجله التاريخي أو في صورته المتوسمة فيه.. ص (٥).!

والمحافظة هنا نعني بها المحافظة الفكرية والأصولية، والتي تحاول الحداثة اختراقها، وأما الحداثة الشكلية فقد قبلها المجتمع باتفاق، فالطلاء المدني يغطينا ومنطقة الخليج إلى القاع شكلا وحسنا وارتقاء، وكما قال المولى الحكيم :((وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها)) سورة الروم ...!

فالعمران مبني ومؤسّس، بخلاف الوجدان، نخشى أن يفلت أو يُبلس،،!

٤- رضا الدولة وفقها الله عنها، وعدم شعورها بالقلق الشديد تجاهها، بل دعمها وتبنيها في المرحلة الأولى للتأسيس الشرعي حتى الاستواء ، لا سيما وقد زُكيت من علمائنا الكرام، إلا ما كان من تجاذبات مع أزمة الخليج واحتلال الكويت سنة (١٤١١، ١٩٩٠) م ،حيث بدأت المواجهة الحقيقية بين الأطراف، فأحس كل طرف بالخطر، وانتهى ذاك ببعض المطالب الإصلاحية، ثم أشعلت تيارات الموقف، ففض الوفاق بجفاء فإيقاف فاعتقال، معتمدة على إدانة من زكاهم قبل مدة...!

٥- الصدور عن مواقف الصحوة السعودية وفتاويها وآرائها. ولا أدل على ذاك من انتشار (الكاسيت الإسلامي) وغلبته على الكاسيت الآخر، واعتمادهم على النقل الصحوي المحلي، لا سيما وقد برز الرموز (بعلمية أخاذة)، وإتقان ظاهر، وطرح جرئ ومقنع..! وهو ما جعل هذه الأداة الإعلامية في حينها محل اهتمام مفكريها، كالشيخ سلمان، ومعالجة ذاك في محاضرته(الشريط الإسلامي ما له وما عليه) .

٦/ تجديدها الجانب التوحيدي، الذي هو أساس الإسلام والتدين ، وعنايتها الفائقة به شرحا وعملا وتدريسا، مما نتج عنه طباعة كتب الأئمة الأجلة ابن تيمية وابن القيم، وصدور أطروحات علمية تحلل ذلك بجلاء، والموقف غير المتراخي والحاسم من البدع بكافة صورها .

وازدهرت (الصوتيات الإسلامية) بشكل باهر وثري في مجال العقيدة، وانسحب ذلك على أكابر العلماء، حيث شرحوا كتب العقيدة باستفاضة، فضلا عن كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه .

٧- تصدرها لقيادة التيار الإسلامي بمختلف أطيافه،لا سيما في منطقة الخليج والمغرب العربي، ولمع الرمزان سلمان وسفر بطريقة أذهلت المتابعين، حتى إن المحدث الألباني رحمه الله، والمستقل كثيراً بآرائه، أشاد بهما وبالنبوغ الذي تميزا به..!

وأتاح موسم الحج السنوي فرصة التلاقي الجسدي والإيماني والفكري، وكان له أعظم الأثر على الأحداث .

فباتت أكثر دول المنطقة تتأكل على شرائط هؤلاء، وتعتبرهم مرجعية مقبولة، إلا أطرافا في مصر والأردن، كان لهم تحفظ، ويلصقونهم بتيارات إسلامية متمددة، متجاهلين عظيم الجهد المبذول من المشايخ آنذاك...!

خلافا لمن بدعهم وأخرجهم عن منهج السلف بالكلية...هههه

وهم كما قال القائل :

إذا محاسنيَ اللائي أدِل بها// كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذرُ ؟!

وعلى فرضية وجود الأخطاء والمخالفات، والتي لا ينفك عنها داعية، فإنها تغمر بحسناتهم الدعوية والتربوية، وفضائلهم في العلم والإصلاح والبناء ..!

كما جلاه أبو الطيب بقوله :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا// فأفعاله اللاتي سرَرنَ ألوفُ !

٨/ عمق تدين أصحابها وتمدده بطريقة أرعبت الخصوم، كان من آثاره تراجع المد الجرائمي، ورصد الأفكار الحداثية والقومية واليسارية والتصدي لها، والسبب حسن التربية الدينية والعلمية بالكتب السالفة الذكر، والتي أنتجت عمق التجربة وغزارة العطاء ، وبدا منها كل صدق وتفهم وإقبال قال تعالى ((فأما الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)) سورة الرعد ،،،،!

وأثمر مثل ذلك الاستقامة العامة، وهي مكسب إيماني واجتماعي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)، وإن شاب ذلك بعض الحماس والتشدد، ولكنه لا يلغي شرفها العام .

٩/ الدعم المتواصل للحركات الإسلامية، مادة وفكرة وهما وشجنا، كما حصل من مشاريع خيرية في أفريقيا وآسيا وإنعاش الفقراء، وتحدث الدكتور السميط رحمه الله عن ذلك، وكف يد الاضطهاد عن بعضهم كما حصل من شفاعات ومخاطبات للعلامة ابن باز، عن طريق المسؤولين وفقهم الله، وحكى الشيخ عبد الفتاح مورو التونسي، في برنامج (شاهد على العصر) شيئا من ذلك .

وهذا صاغ صورة إيجابية للملكة في العالم العربي والإسلامي، عزز به موقع القيادة .

وجهود رابطة العالم الاسلامي، وقد فصل كثيرا من ذاك الشيخ العلامة المؤرخ محمد بن ناصر العبودي، مكارم وعجائب في ذلك، ننصح باستماعها .

١٠/ حضور الوعي المبكر لدى أقطابها، وتأسيسهم قاعدة شعبية تصاعدية في ذلك، من نحو القراءة في كتب الفكر والثقافات المختلفة ، ورزايا المسلمين ، ولذلك أمثلة :

محاضرات د. الحوالي المتنوعة :

موقف الفكر الإسلامي من العلمانية- قراءة في الدساتير القومية- نقاط حول الصحوة - الشيوعية بين الانهيار والتجديد -المستقبل للإسلام -حكم الاحتفال بأعياد الكفار -نظرات في التربية الحديثة - العبر من الحروب الصليبية-العالم في ظل الوفاق الدولي- تأملات في سيرة نور الدين محمود- الباطنية، ففروا إلى الله وغيرها .

وللشيخ العودة :

التطبيع-المعركة الفاصلة مع اليهود- دروس الأزمة-مطارق السنن الإلهية-أسباب سقوط الدول-الصحوة في نظر الغربيين-صناعة الحياة-من يحمل هم الإسلام-معركة الإسلام والعلمانية -الصراع بين الحق والباطل-خلل في التفكير-نهاية التاريخ-الصحوة بشائر ومحاذير .

والدكتور العمر : من خيوط المؤامرة -فقه الواقع-الآلام محاضن الآمال -صور وعبر من بلاد البلقان-البث المباشر-بناتنا بين التغريب والعفاف- حقيقة الانتصار .

والدكتور عائض :

الإسلام والتحديات المعاصرة- من عوامل النصر والهزيمة-واجب الأمة بعد زوال الغمة، ومع غلبة السرد الوعظي والقصصي على أسلوب الشيخ عائض حفظه الله، إلا أنه شارك زملاءه في الوعي التربوي والفكري، لا سيما في أزمة الخليج وقضايا الشباب.

وهنالك فضلاء شاركوهم في إذكاء الوعي كالشيخ سعيد الغامدي وأشرطة الحداثة وحزب البعث، وكذلك الشيخ عوَض القرني وغيرهم، وأظننا نبهنا عليه سابقا .

١١/ تجديد دور المسجد بمناشط مختلفة، علما ووعظا وفكرا وتكافلا، أسس بعد ذلك لظهور مؤسسات المجتمع المدني، والذي ظهر بعد في التسعينات الميلادية على هيئة جمعيات ومؤسسات ولجان، وتعاظم بعد الحادي عشر من سبتمبر، برغم التضييق .

ومع مدحنا وإشهارنا للمزايا والمحاسن ، لا تنفك الصحوة السعودية من أخطاء، رُصدت سابقا ، باعتبار أنها جهد بشري يضم آلافا مؤلفة مختلفي المشارب والصفات ، وسيأتي مزيد تبيين لها، والله الموفق والهادي إلى سواءِ السبيل .

ومضة / القاعدة العلمية المتينة غرست غراسا، وأثمرت ما لا يمكن تجاهله في المملكة..!

اللحية التجديدية أو الثقافية (١٠)

شدّني عنوانه (اللحية الثقافية)، ص (٢٩، ٣٠)... وأن اللحية مرت على ثلاث مراحل... جيل القوميين، المجافاة والحلق.... وجيل الصحوة الإعفاء والسيما الصريحة، فكل صحوي هو ملتح بالضرورة ؟،،،، وجيل المثاقفة الافتراضي ....؟ (بتصرف)

فحاولت تأمل مثل ذلك ومغزاه، وذكره أن اللحية مرت في بلادنا على ثلاث مراحل، ولما دخلت فضاء المثاقفة والانفتاح، بدأت تتغير مع الظروف المصاحبة، بشكل تفنني ذواق... ؟؟

وهي على العموم، تجديد وتنور فقهي عند فئام، وهي لحية انهزامية عند آخرين، واستضعاف سلوكي عند فئة ثالثة، لا تحاكم عليها...؟

لا سيما مع قارعة سبتمبر واحتلال العراق، وظهور جماعات العنف السياسي، وهجمات الإعلام على الخطاب الإسلامي، حتى أدى بطوائف، التنكر للمبادئ السالفة، والتخفف من الالتزام الصارم، ومحاولة دفع التهم، وهذا برز بشكل جلي مع طبقة(مثقفي الصحوة)وقد يلتقي ذلك مع ضعف في النفس وقصور ذاتي، يسهم في الانقلاب وحصول النكسة والانقباض المجتمعي أو العكسي، حتى إن بعضهم هجر العمل الدعوي على إثر ذلك،،،؟ فيبيت ذاك الشاب أو المثقف إلى خصم ، يشن مقالات قاسية مهترئة ، أو روايات مهلهلة، يزعم من خلالها أنه عضو سابق، أو صحوي قديم،،؟ أو خبير في الحركات الإسلامية ، وهو منقلب قديما، فيقول ويتقول، ويدعي ويجزم ، على صورة شهود العيان، والذي يجب أن تتلقى معلوماته بالقبول الحاسم ،،، هههه......؟ وتناسى الدكتور أن من جيل الصحوة من أحرق محال الفيديو، وانقلب بعد مدة رأسا على عقب، وبات خصما لدودا، يسم خطب الجمعة بالتراث المتعفن، ويروج لدين الإنسانية الجامع للأديان السماوية الثلاثة ...؟ ولم يشر الأستاذ الراصد لتلكم الظاهرة التوحشية الانقلابية،،،،؟

وتغافل عن أدواء المرء، وما يخالطه من مشكلات الاستقامة والذات، والمؤثرات المجتمعية، والتي قد تودي به للنكوص،،، فهل يعني ذلك خيبة الصحوة وفجاجة

خطابها، وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم كما عند أحمد وغيره ((أكثر منافقي أمتي قراؤها)) فقد ينقلب ذاك القارئ، فيكتب رواية يسف فيها على الصحوة، فيوحي للقراء ذهنيا، أن التدين هو المشكلة، والحل الخلاص منه، أو عدم التدين بالكلية، والميل هنا وهنالك،،،!

وقد ناقش ذلك بجودة فائقة الشيخ العودة في محاضرة (صلاح الظاهر والباطن) وهي من روائع إنتاجه الدعوي والسلوكي ، وللشيخ العايد مخلصرة(الالتزام الأجوف) .

وصح حديث ((إن أخوف ما أخاف على أمتي، كل منافق عليم النفاق)). فلسانه حلو جذاب، وقلبه سقيم ذو اضطراب، وقد يوظف أمثال هؤلاء للانتقام من التدين، فهل يسوغ أن نقول ذلك هو الإسلام...؟!

والسؤال الملح : هل تتحمل الصحوة كل تبعات أولئك ..؟!

ولو دقق وأنصف،...! أنه لو اعتقد أن ظاهرة الصحوة بشرية، فسيغفر لها كل تلكم الملحوظات، لأن التعاطي البشري، والسلوك التديني، ليس هو الدين....!

ولكن الإنصاف عزيز، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : (ما قل شيء في عصرنا كالإنصاف !).

وربما التحول كان عن قناعة فقهية جديدة، شعرت بعدم الإلزام، ولم يتسنَ لها ذلك، إلا بعد الشيخين رحمهما الله، فالقول كان مخبوء في النفس، ولكن لم تتهيأ الظروف التاريخية لإعلانه...!

ولا شك أن كل ذلك محتمل، ومن تلقفتهم القنوات المشبوهة، كانوا من المنقلبين والمتنكرين، ،،،! ونعترف (بالحدية الفقهية) التي مورست في عصر الصحوة الذهبي، وقد كان من آثارها التشدد في مسائل سلوكية، وربما مسائل أشد، وكان لها مضاعفات سيئة على الدعوة، من نحو غياب الفقه الدعوي، وفقه الخلاف، وعدم تفعيل الفقه المذهبي المقارني، والتهوين من مذاهب فقهية اجتهادية أخرى...!

وهذا نقصان منهجي وتربوي لا نجحده، وقد قال أيوب السختياني رحمه الله (من لا يعرف الفقه، لم يشِم أنفه الخلاف)!

ولكن للصلابة السنية التطبيقية، تشددت الصحوة في شكل أتباعها وسيماهم، وحملتهم واختبرتهم في مذهب أحادي فريد، حتى بات الشاب في بيته - وقد فرح الأهل بتوبته - مصدر إزعاج بفتاويه وسلطته العلمية الجديدة.....!!

ولكن أكثر ذاك قبله المجتمع للفطرة الدينية، وسطوع الوهج الصحوي، واحتفاؤه بالدليل - لانتهاج الشيخين الدليل- وإدراكهم أن الاستقامة خير حافظٍ للنشء...!

وهذا قد حصل في الأزمنة العلمية الزاهرة وفي الوسط الشرعي، فهذا الإمام أحمد رحمه الله يقول (كنّا نلعن أصحاب الرأي ويلعنوننا، حتى جاء الشافعي فمزج بيننا)! كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله. فهذا في زمان متقدم فكيف بحال عصرنا..؟!

وما اللحية إلا نموذج من نماذج مختلفة حاكمت عليها الصحوة، تمسكا بالسنة، وإبرازا للتدين،- وأحاديثها الصحيحة مشهورة- وربما كانت ردة لفعل التيار القومي من الحلق المستديم- كما ذكر المؤلف- إلى الإعفاء الكامل، فسقطت قوميتهم حين سقطت لحاهم هههههه،،،،،،!، وصعد -نحن ديننا- حين برزت لحانا، وباتت سيما لنا، والله من وراء القصد..!

ونؤكد هنا أن المكانة الفقهية للعلَمين ابن باز والعثيمين رحمهما الله، حملت الصحوة على عدم مخالفتهم في بعض المسائل الفقهية الاجتهادية ومنها السلوكية المظهرية كاللحية مثلا وتقصير الملابس،، واختيارهم كان هو الإعفاء المطلق، وانسداد أي مساق للتخفيف أو التحسين...! بل إن قادة الصحوة الشعبيين كانوا يتهيبون المخالفة في غير ذلك ، ودونه، من نحو :

- قراءة الفاتحة في الجهرية ، وتغذت الصحوة على فقههم في جل مسائل الفقه العملية،لا لنقص وضعف بحث،،! ولكن احتراما لهم، وهيبة لفقههم واختيارهم .

- وأذكر أن الشيخ العودة في شرحه لمسألة (ما يقطع الصلاة) في البلوغ، رجح مذهب الجماهير أنه لا يقطعها شيء، وبدا عليه التحرج وهو خلاف رأي الشيخين المبجلين، ولكي يقنع جمهوره، تلطف بمقدمة عن فقه الخلاف وقفو الدليل ...!

- وله محاضرات في تأصيل هذا المفهوم وتوصيله، ولكن لم يفطن له إلا قليل...!

- والقول بنقض الوضوء، من لحم الجَزور، وهو من أفراد مذهب الحنابلة، ولم يكن أحد يستطيع المجاهرة بذلك .!

- وزكاة الحلي ووجوبها، تقليدا للشيخين، برغم أن علمين كبيرين تربت الصحوة على تراثهم، لا يقولون بذلك، وهما ابن تيمية وابن القيم رحمهما اللّه تعالى .

- والرمي قبل الزوال للمتعجل أيام التشريق في الحج، مع أن فيه مندوحة، وله تخريجات فقهية، تسوّغ الرمي .

- والتوسع في التصوير الفتوغرافي والفيديو، وكيف باتت أداة إعلامية مشعة للعمل الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر .

فهذه وأشباهها مما احتدت فيه الصحوة، بسبب الظرف التاريخي، فليست المسالة مختصة باللحية فقط، بل هذه وغيرها مما حكينا، وقد كانت تحتاج إلى منهجية فقهية في التعامل وفهم الخلاف الفقهي المقارن،،!

وأعتقد لو أن وسائل الإعلام ازدهرت كالوضع الراهن وظهور النت، لتغير الوضع ولا تهدهد الجدار الاجتماعي والثقافي، وانفتحت الصحوة بكل وعي وتكيّف، لا يخل بهويتها وقيمها الشرعية...!

فها هو الشيخ العلامة السعدي رحمه اللّه، يقول بنقل الأعضاء قبل ظهورها بعقود، ويلمح لجواز المقاطعة الاقتصادية للعدو الحربي ق.

ولو تعمد الإسلاميون رصد حركة وعلامات الحداثة النخبوية، لألفوا

فيها التباين المنهجي، والذي جعل أمثال البازعي والسريحي، يشنان حملات على المؤلف ، وقد لا نعتبر ذلك مواقف علمية يعبر عن جوهر المذهب والتيار، ونعده موقفا شخصيا أو انقلابا على بعض الاجتهادات الفكرية...!

ففي كل ممارسة بشرية أخلاط من الاختلافات والاجتهادات، ما ينبغي حملها على جوهر القضية، فضلا عن التحولات الضبابية أو الحاسمة ،..!

فالمحصل أنه ما ينبغي محاكمة الصحوة بالمظاهر دون الولوج في مضامين الخطاب البنيوي لها، وأن التحولات الفقهية أو السلوكية، لها أسبابها المخصوصة، وليست كلها متمحضة من التشدد الديني،،، والسلام....!

حلم الناصرية العروبية..(١١)

لم يخلُ الكتاب من ومَضات وردية تجاه الفكر الناصري العروبي، استطاع الكاتب إدراجها في سياق عابر وبرئ،- مجسدا انتماءه الفكري- ليعطي القارئ الانطباع الرائع والسائد عن القومية، والتي أجهزت عليها الصحوة الحشدية المتوجسة، كما يقول بعد نكسة (٦٧م) والتي هي هزيمة وموت قاض، حقيقة لكل الشعارات القومية والاشتراكية ، فباتت الشعوب العربية ليس لها ملاذ أو ملجأ في حل أزماتها والخروج من تلكم الشقاوة إلا بالخيار الإسلامي،،، فمثلا يقول ...

ومن ذلك :

-(كانت القومية العروبية ظرفا ثقافيا كاسحا....) ص(٥)

-(تأميم قناة السويس تفجرت معه المشاعر العروبية .... مشحونة بالطموح للخلاص من مذلة الاستعمار....) ص (٥)

- (كانت خطبة عبد الناصر حينها هي الشمس التي انبثقت من بعد ليالي الحسرة المعنوية....) ص(٥)

- (وأن تكون عروبيا فهي مسألة لا تساؤل حولها، وكل شعار عروبي هو حق مطلق...) ص(٢٥) .

وهي انعكاس لحالة التشبع والهيام الذاتي لدى المؤلف، بتلك الشعارات البراقة، والتي لم تفلح ولم تنجح،،،!

وسقطت في أول مواجهه حقيقية مع العدو،،،،!

ولم يبق إزاء ذلك الشغف، إلا الترنم بالأغنية المصرية....صوت الجماهير.. صوت الجماهير،، هو اللي بيصحي الأجيال ... من عهد آدم والظلم حاول.. يعادي شمل القلوب.....الخ

أو الأخرى، هياما بجمال عبد الناصر....

يا جمال يا مثال الوطنية... أجمل أعيادنا الوطنية......هههه.....

وأستحضر هنا أبيات (نزار الحزينة) والساخرة مما آلت إليه أحلام المتعلقين بضجيج جمال عبد الناصر وترهاته، وأن خطبه ليست إلا زهوا ذاتيا، ومشاريع مفرغة من مضمونها وأهدافها...!

فيقول :

أدمت سياطُ حزيران ظهورَهمُ// فأدمنوها وباسوا كفَّ من ضربا

وطالعوا كتبَ التاريخ واقتنعوا// متى البنادقُ كانت تسكن الكتبا

أين الشعارات أين المالئون بها.. الدنيا لكم زوروا التاريخ والكتاب؟!

فلا خيولُ بني حمدان راقصةٌ// زهوا ولا المتنبي مالئٌ حلبا...!

وعلى الرغم من أن (الحلم القومي) قد ولى وتلاشى، فلا أحب ان تذهب هذه الانطباعات النفسية والفكرية بدون تعليق، لا سيما وصاحبنا هنا يقارنها بالصحوة زخما وقوة وانتشارا، وقد نفيناه سابقا، ولذا أبين جملة من النقاط الهامة هنا :

١/ التوحد القومي، لا يمكن أن يقبل إلا في (إطار إسلامي)، يفرح بالدِّين ويحتفي ولا يلغيه بكليته من الحياة،،،! ولا مانع عند عقلاء الإسلاميين من البدء باتحاد عربي تأسيسا لقضايا الوحدة والاجتماع، والنهضة والحضارة، وينتهي بعد ذلك لاتحاد إسلامي حقيقي ، كما قاله الأستاذ الكواكبي وسيد قطب رحمهما اللّه قبل، ونبه عليه الشيخ الزنداني في السنوات الأخيرة .

٢/ لم يكن الوهج القومي

مضاهيا للوهج الإسلامي انتشارا واتحادات فيما يبدو للاختلاف العربي القائم ، و لعدم ثقة بعض الزعامات العربية في نوايا عبدالناصر، وأنه يبحث عن أمجاد ذاتية وليس وحدة عربية، ويدلل لذلك تدخله في شؤون الدول، وتورطه في حرب اليمن، ومناكفة الأنظمة الملكية، وفشل الوحدة العربية بين مصر وسوريا والتي انعقدت

سنة(٥٨)م، تحت مسمى الجمهورية العربية المتحدة، ولم تتجاوز الثلاث سنوات..!
وتصفيته كذلك للحركة الإسلامية في مصر، لا يعطي الثقة فيه وفي أضرابه، وأن رائحة الغدر والدموية نابعة منه..!

٣/ أن العرب لا قيمة لهم ولا كيان بغير الإسلام، ومهما حاولت فكل محاولات القوميين من النخب المسيحية وهي البادئة بذلك، لن تجدي أو تفلح، بسبب الشعور الديني المتدفق في الشعوب العربية..!

٤/ أن ترك المؤلف لكل تلك المشاعر الروحية بلا تعليق، واعتبار أن القومية عادت للعرب، وقد تكون حلا سريعا لمشكلة التسلط الغربي والاستعمار الصليبي، وتناسى المشكلات الأخرى، والهوان الإسلامي، وما استتبعه من رفع شعارات ضلالية وعلمانية، انتهت بسدنة القومية وجيوشها الجوفاء إلى هزيمة نكراء، تحدث بها القاصي والداني..!

٥/ تعلق المؤلف بالمد القومي، وعدم نقده أو كشف أسباب هزيمته، يعطي ما يشبه التماهي والاسترخاء الفكري تجاه أدبياتهم، من نحو طرح الإسلام، ومهاجمة بعض شعائره، ولذلك لا يحفظ له أية نقد موضوعي للقومية وإخفاقاتها التي جرت علينا الويلات، وقد حاولت الجامعة العربية تجديدها من بعد وفاة الرئيس السادات، وتجميع تكتل عربي منتج، في ظل موات مؤسسي إسلامي، ومع ذاك لم تنتج ولم تخط خطوة جيدة إلى الأمام...!

٦/ أغفل عمدا أو تعصبا،- وهي حركة تعصبية- نزاعات القوميين أنفسهم، وتفكك التوحد العربي إلى مظاهر تحزبية متنابذة ، لا سيما بعد تفكك الوحدة المصرية السورية، وتشظي حزب البعث إلى مدارس مختلفة، لكل وجهته وعقيدته القومية والفكرية ،،،! وكل ذاك تجاهله، مع (تجاهل مصمت) لمنطلقاتهم

الثقافية والأيديولوجية تجاه الإسلام، بل جعلهم القومية دينا يُحتزم بها ويلتف حولها...!

ولهم في ذلك أبيات رائجة، وعبارات متداولة ..!

- وفي ص(٢٦) يقول :(...فميشيل عفلق قال: كان محمد كل العرب، فليكن العرب كلهم محمدا، وهذه كافية لحسم أي سؤال عن العروبة والإسلام...)

وهي عبارة معسولة مشوقة، ولكن تطبيقاتها لا تحقق صدقيتها، فالرابطة لديهم عرقية لغوية وتاريخية،ومواثيقهم التعاقديّة تشهد بذلك، ولا تهتم بالإسلام بل ترفضه، ولا تؤمن بالغيبيات التي جاء بها، ويعتبرون الإسلام ورسوله وأعلامه البارزين ، شكلا من التعبير والتجليات القومية للنفس العروبي...!

وبالمناسبة عبد الناصر القومي استلب قلوب الناس بالخطب الرنانة والعبارات الجاذبة، وغالبها يفعل خلافها، ولم يعاين المتيم به، الوجه الظلامي له من نحو تكريس الاستبداد وفتح السجون، وسحق الخصوم، وأنه كان أيقونة التخلف وتراجع مصر حضاريا واقتصاديا وحقوقيا،،،، فمن كلماته مثلا المدهشة (إنّ حرية الرأي هي المقدمة الأولى للديمقراطية)،،،،!

وهو يناقضها كلية، وقد ألغى الأحزاب، وصادر الصحف، ومقت كل صوت حر، ومن كتب عن الثورة أقصد يوليو (٥٢)م، كالصاغ الأحمر (خالد محي الدين)، قرروا أنه يكره الديمقراطية، ولا علاقة له بها، وهو من دبر تفجيرات القاهرة الستة،،،،، فالانطباع الذي قد يحدثه الكتاب من رضا وسرور عن حقبة عربية انتهت ليس سليما بل مخادعة للقارئ، وتزييف للأمانة التاريخية والنقدية،،.! والسلام .....

ومضة/ القومية شعار براق، تخندق ضد الإسلام فسقط في وقت سريع..!

المفتاح المنهجي النقدي.(١٢)

كل عملية نقدية تقويمية لمشروع أو حركة أو مصنف صغر أو كبر، يتعين فيه تحديد المنهج النقدي المنضبط في القراءة والبحث والتقويم....

وما حصل في كتاب الدكتور، أن المنهجية كانت شبه غائبة أو متعثرة بسبب خفاء العناصر، أو انعدام المقومات الحقيقية للقراءة،،،، وهو ما سنلحظه في النقاط التالية :

١/ يقول في فصل: علامات الصحوة/ المفتاح المنهجي ص(١٣) :

(من شرط الدربة المنهجية البنيوية حصر العينة إلى أصغر وحدة ممكنة، بحيث يستحيل النزول إلى ما هو أقل منها ثم التعرف إلى العناصر المكونة لهذه الوحدة محل الدرس...ولكي نقرأه بمنهجية لابد من كشف العنصر المهيمن الذي يمثل القلب للجسد....)

وانتهى هذا التفحص والاستقراء أن الحشد هو (قلب الصحوة)، وإذا انتهى القلب انتهت فلا أثر ولا فكر....!

وكالقلب بالنسبة للإنسان، إذا مات أو توقف، وقفت الحركة وأذنت بالوفاة والخروج إلى العالم الآخر،،،،!

كذا خلاصة ما ارتآه ...

(ولو عزلنا عنصر الحشد عنها فماذا سيبقى إذن ..!)

وهنا نسجل بعض الملحوظات المهمة :

- أن هذه المنهجية غير دقيقة ولا مستقيمة، لا سيما والصحوة لها علامات وسيمياء أخرى، وتتخللها أفكار وأصول تحركها وتقومها وتتفاعل بها...!

- فالمفتاح المنهجي هنا بلا أسنان، ومن أسنانه ليصح الفتح، وتستقيم المقدمة النقدية هو تعويله على الأفكار والتوثب لنقدها، من خلال مراجع معتبرة كتبت وأرخت للصحوة وقضاياها وتوجهاتها .

- تراث الصحويين أنفسهم كما تقدم، تم تجاهله بالكامل، والإعراض عن أدبياته، لكأنه مشبوه أو مفرغ الفائده والمضمون، أو كانوا غير مؤهلين للتنظير والقيادة ،! أو أنه مجرد رسائل إيمانية ترقيقية، لا تؤسس لفكر، ولا تحتوي على خطة واستراتيجية،،! وهذا محل تعجب كبير..!

- ولولا ما في الصحوة الإسلامية من أفكار متينة وثمينة، لما التفت حولها تلكم الحشود الزاحفة والمرعبة ..!

- الدكتور سلمان نقل عنه نقلا واحدا فقط، وغير مفيد ولا مجد، وهو عبارة عن تغريدة سنة (٢٠١٣)م عن توظيف الدين للسياسة ، وأهمل إنتاجه الزاخر الزاهر، وهو محاضرات متينة تؤصل للفكر الصحوي ، وتكشف من خلالها ماذا تريد الصحوة،،،! ولم يفعل....!

- الدكتور الحوالي متجاهل للغاية، برغم محاضراته الثرية، وما قدمته من رؤية واستشراف لعدد من الأحداث، وسمينا شيئا من ذلك آنفا .

- الفكرة التشويهية للصحوة، وللأسف الشديد حاضرة قبل الدليل والمنطق، لخفاء غالب الأدوات النقدية، وقد تعلمنا من العلامة ابن عثيمين رحمه الله قاعدة نقدية منهجية (استدل ثم اعتقد)، وواضح هنا أن الاعتقاد قبل الدليل، ويشوب هذا الاعتقاد عناد وإصرار على أفكار مسبقة، يحاول المؤلف تثبيتها، وبالتالي يختفي العقل الصحيح، وقد قال شوبنهاور (ينتج العناد عن محاولة الإرادة إقحام نفسها محل العقل) والعقل يقتضي جمع الأدلة والانصاف، مع عدم الركون إلى التصور المبدئي، ولو كان حلوا في الذات النقدية المعنية ..!

- مراجعه منقوصة، ولا تفي بمقاصد الكتاب النقدية والتصحيحية، فقد تضمن ثبت المراجع(٢٣) مرجعا، ليس فيها في جوهر الصحوة سوى بضعة كتب، لا تتجاوز الستة الكتب...!

وأهمل مراجع متينة، مثل: الصحوة الإسلامية للدكتور عبد الكريم بكار، والصحوة الإسلامية للدكتور عبد الله ناصح علوان، وتاريخ الحركة الإسلامية للدكتور النفيسي وآخرين،

وغيرها من الكتب المفيدة .

- الدكتور عايض، ليس له أية إشارة في الكتاب، وكأن الكتاب لا يخص صحوة المملكة، ويعتبر الشيخ وفقه الله برغم إسهامه الوعظي والقصصي، أثرى الجانب الأدبي واللغوي من خلال طروحاته الشعرية، والتي عالجت إخفاق الأندية الأدبية في حينها، والتي كانت مشغولة بترسيخ مفهوم الحداثة الغربي، أو تناول موضوعات عقيمة النفع..،!

- الدكتور العمر، بنفس التجاهل السابق، وإنما تم ذكره عند تحليل مقولة الحافظ ابن عساكر رحمه الله (لحوم العلماء مسمومة) حيث له محاضرة بهذا العنوان، طبعت في كتاب لاحقا، ،،يقول مثلا ص(١٢٧)..(مقولة لحوم العلماء مسمومة كانت من أخطر المقولات التي أفرزتها الصحوة في بداية تحركاتها..... مما جعل المعنى يجنح نحو تحصين الذات من النقد والمساءلة، وهو أصل نظري يعود إلى فكرة التوجس ..)

- وإن تعجب على شيء، فعجب هذا التصور وتلكم المنهجية..،!

- محاضرات بالمئات لم يرجع إليها.،،!

- وانتقاد تدقيقي وتحليلي خال من علامات حقيقية للكشف والمقاربة ، لأن هذه العبارة سيقت مع مئات العبارات للنصح والتوجيه، ولم تكن مقدمة تحصينية، أو قاعدة إقصائية في النظر الصحوي...!

وغاب عن نقداته أن الرموز الصحوية، مارست النقد مع الأكابر فيما يخص فقه الواقع وتجديد الوعي، والهم الإسلامي،وقضايا الاحتساب، وطالبتهم بالمزيد والدفع للأمام،،،! فكيف تبتدع هذا الحصن الثقافي...؟!

إلا أن يدعي أنها حصانة لهم من دون الناس، وذاك لا يستقيم واقعا ولا عقلا...! وللصحوة عبارات ومقولات، استلهمت منها ودأبت على تكرارها....

ومن هذه العبارات السيارة في الفكر الصحوي، وشكلت وعيا سلوكيا وتربويا :

(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).للخليفة عمر .

(نحن قوم مساكين لولا ستر الله لافتضحنا). للإمام أحمد .

(ونفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل). للشافعي.

(كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر) للإمام مالك رحم الله الجميع .

وَمِمَّا يؤكد ذلك أن الصحوة مارست النقد لها ولغيرها، وطرح الشيخ العودة محاضرات نحو:

- لماذا نخاف من النقد ؟
- مراجعات من جزئين.
- خلل في التفكير
- فقه إنكار المنكر
- أدب الحوار والمناظرة
- الشريط الإسلامي ما له وما عليه.
- وللشيخ الحوالي :
- الشباب بين العقل والعاطفة
- آفة الاستعجال
- العزلة الفكرية لدى الشباب المسلم ،،، وغيرها
- الممتاز شرح خطاب ابن باز
- وهذا يؤكد كلامنا أن الرجل لم ينقل عن الصحوة، أو لم يطّلع على أدبياتها..!

فلكأنه يتحدث عن صحوة أخرى، أو بلد آخر..!

وقد كنت أتمنى وقد أقام الدكتور في (جدة) واشتغل في برامج النادي الأدبي، أن يخطو خطوات يسيرة، ليسمع ما يقال في الضفة الأخرى من النهر الثقافي المحلي، فسيجد في جامع الأمير متعب، رجلا أكاديميا، ومفكرا مرموقا، يحدث الناس بأعاجيب فكرية ثاقبة، وتقريرات منهجية نادرة..! وهو الشيخ المفكر الحوالي وفقه الله .

والمنهجية تقتضي المماسة الحضورية، أو النقل عنهم، وليس التكهن البعيد، أو التصور الشخصي والمشوب بميل قبلي...! أو ملاحظة الحشود الجارفة والمتدفقة، دون الغوص في أدبياتها ومكنوناتها...!

- ثم إن عبارة ابن عساكر، عسكرةٌ لأعراض البررة من العلماء والمهرة من الفقهاء، لا أنها حظر للنقد، وحماية للجهلة ،أو سياج للقداسة، فهي مانعة للتطاول، وليس حائلة عن التساؤل، كما توهمه المؤلف.،! فلقد نقد العلماء ونقدت الصحوة، وأثيرت حلقات نقاش، وكان الوسط الصحوي فيه نقاشات عالية علمية وفكرية وتربوية، ووقعت فيها تجاوزات، ولما دخل خصوم الصحوة من بعض الشرعيين في جدليات طويلة، استبيحت أعراض، ونيل من شخصيات.،! ولم تتعكر المسيرة الدينية بحمد الله تعالى .

بل إن بعض الصحويين طرح (مناظرة الحداثيين والعلمانيين)، والتحاكم إلى الحجة الساطعة، فلم يصغوا لذلك، وآثروا الفرار والانزواء، والانتقاد من بعد...! وقد أشار هو إلى صراع الجنادرية ص(٢٠) لثلاث سنوات متواليات، بين الإسلاميين والحداثيين، ولم يُبين لنا نقاط التضاد بينهما، وحاول التسطيح بأنها حشود مستولية للمكان، وتكبّر، وتلكم تصفق،،،، ولم يسم مسالة جوهرية للصراع الثقافي، والذي من أجله صادمت الصحوة وتوجست...!

٢/ يقول المؤلف ص(١٤) (الصحوة حشد جماهيري باندماج تفاعلي وأركز على مفهوم الحشد الجماهيري مفرقا بين شخوص رموزها وخلقياتهم...

وأبرز علامات قوتها هي سحريتها في الإغراء لتصدر مجالسها أو لمجرد الاندماج فيها ....

هي منظومة علامات تنفعل مع ذاتها وتتحرك ضد غيرها في حركة شبه فيزيائية ..) ص(١٤)

وهنا تعليقات في غاية الأهمية :

- أن نظرية الحشد لا تزال مركوزة في ذهنه ومصرا عليها، وزاد عليها الاندماج التفاعلي الداخلي.

- حرصه المستديم في تجريدها من الخطاب الواعي التبصيري، والذي كان مسهما في التحشيد والتفاعلية العالية .

- اعتبارها بدون قيادة واعية وراعية، تخطط وتوصف وتنظم، وهذا تجاهل واسع للدور المشيخي القيادي لأقطاب الصحوة المشاهير والمتقدم ذكرهم .

- لم يشرح ما هذه السحرية المستقطبة لهذه الحشود لا سيما الشبابية، أو يكشف أسبابها وخطاب موجهيها، وحاول متجاهلا تسطيح خطابها، أو يقول أن الدين خطاب من لا خطاب له، وخفي عليه إزاء الدافع الحشدي ما يلي :

أ- قوة الخطاب الصحوي وجودته العلمية والمنهجية في الجذب والسحرية البليغة .

ب- بزوغ الوعي الفكري والسياسي والاجتماعي في الخطاب القيادي لأصحابها .

ج- ملامستها الوجدان الشبابي تغذية ومعالجة إيمانية، وحلولا ومدافعة لمشاكل نفسية يعيشها الشباب المتدين .

د- إفلاس المشاريع المطروحة من قومية مهزومة، وعلمانية متطرفة، أو حداثة منبتة الصِّلة بماضيها، أو شهوانية مترفة، لم تستطع ملء فراغهم ببرامجها الدرامية والفنية، والتي سادت في السبعينيات والثمانينيات ، وكانت محاضرة صحوية راقية كافية في زلزلة غرس باهت مشوه ..!

وجعلت الشباب ينصرف انصرافا كاملا إلى الطرح الجديد الذي ملأ قلبه وفكره ووقته...؛ فليس الانضمام والاندماج معها لا سر له، أو عُقد سحرية غير مفهومة، كما يتوهمه المتوهم، أو يزعمه الزاعم..؛

ه- أن النخب الثقافية المعادية للصحوة والتوهج الإسلامي، لم يستطيعوا تقديم أية برامج شبابية أو مشاريع تربوية حاضنة للشباب، وحتى قضية الحداثة لما طرحت، لم تطرح بشكل منهجي مقنع، ولذلك لم تشهد زخما حضوريا، ولم يهتم بها الشباب، مع أنه كان بإمكانهم تقريبها بوسائل تبسيطية،،، ولكن لم يصنعوا ذلك، لما تحتويه من موقف تجاه التراث والدين...؛ وهو ما ضخم الخلاف مع الصحويين...؛

و- الجهل بالسنن التاريخية والتي تقتضي هبة الإسلام وازدهاره من حين لآخر، وأن الله يغرس له غراسا تقوم به، ويزرع له مجددين، يحيون ما اندرس من شعائره ، لا سيما وما حل به من ضعف شديد من أواخر الدولة العثمانية ، ثم سقوطها وتسلط الاستعمار الغربي، حتى شوه الإسلام، ووُسم بالرجعية والتخلف لعدة عقود، ثم كانت هزيمة (٦٧)م مؤذنة بالعودة الجديدة، والصحوة الإسلامية بشكلها اللافت والبهيج..؛

فهم لا يدركون معاني الاحتشاد الإسلامي وما التف به من معانٍ آسرة، وخصائص باهرة، جعلته يستهوي على وجدان الجيل، ويقدم الإسلام في أبهى صوره..؛

ز- زعمه أنها تندمج مع ذاتها وضد غيرها فيزيائيا...؛؛

وهذا توهين وتهوين للمد الصحوي الإسلامي، وأن أتباعه لم يتخذوا قرار التدين، وما يقول في جماهير العائدين إلى الله، وقد أردتهم المعاصي، وافتقروا للحياة الطيبة، والتي توفرها لهم وسائل الإعلام في وقتها، ولا الخطاب الثقافي الحداثي المتنور...؛

وعزَب عن ذهنه الفكرة الإسلامية الدافعة للتدين، وحب الصفاء الإيماني، وأن التدين بذاتيته يملك قوة الجلب والاستقطاب والسيطرة، بالأصول الخالدة والمؤثرة فيه...؛

وكأن هؤلاء لم يجربوا التدين قط، ولا استطعموا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ..!

ودعوى الحشد والتفاعل الداخلي فيها، واستجماع القوة المؤثرة فيها، غير كاف لاجتياح النطاق الشبابي، وإحداث زلزلة مجتمعية مرعبة للمناوئين ، لو لم يكن ثمة طرح إيماني مؤثر، يصاحبه خطاب فكري سيال، قد تدثر بدثار الدليل والإقناع..!

وهو ما تحلت به الصحوة، محدثة ثنائية عجيبة، تجمع إلى الترقيق والوعظ، العلم والفكر، والأسلوب الرقمي والاستقرائي، ومناهج البحث والإقناع الأخرى.،،.!

ولكن هؤلاء لا يقرؤون، وإذا قرأوا لم يفهموا..!

وأعيذ المؤلف ونظراءه ممن تخاصم مع الصحوة، أن ينتهجوا مناهج التجاهل والتسطيح والتوهين، والقراءة المبتسرة الانتقائية،،،،! والتي تقزم من دور الصحوة وأفيائها، وما نتج عنها من ظلال وارفة، ومحاسن زاهرة، لا ينكرها إلا مكابر أو جاهل...!

ولا نبالغ حينما نقول إن الصحوة امتلكت خطابا دينيا وثقافيا وفكريا، لم تملكه المؤسسات الثقافية في حينها...!

وهذا مما أتاح لها انبهار الحشود بها، وتعلقهم ومحبتهم،،،!

فلم تكن القضية حينئذ حب استطلاع، أو رغبة تجمع آنية للتخويف والإرعاد ، أو مستأجرين ماليا ومنتفعين،،،! وقد قيلت من بعضهم، حينما سطع الشريط الإسلامي، وسمى المشايخ المشهورين، (تجار الكاسيت)،،! وأن التغلب الصحوي الكاسح، كان وراءه دعم وتزويد ومعونات ، هي من ألجأ الجمهور الغفير للحضور البهيج والمخيف ..!

ومضة/ تقويم الصحوة من خارج نطاقها وتراثها، مفارقة منهجية، ونتيجة مغلوطة..!

وهو يقصد بالثقافي التاريخي المحدد بزمن، وقد لا يئوب مرة أخرى لارتباطه التاريخي، بظروف المنطقة العربية، لا أن فيها المقومات الذاتية للتجدد والنهضة،،،! وقد حدد ذلك وشبهها بالتيار القومي،،،! لكن بحسب التعاهد والتغذية المفعمة، والإذكاء المتجدد، قد يبرز أهل التدين...!

وإذا استحضرنا ربطه ظهورها بسقوط الجيوش العربية في (٦٧) م،، كما يقول،،،!

وهذا من عجائب الكتاب وطرائفه في نفس الوقت، أنه سمى الصحوة بالظرف الثقافي، ليجسد كلامه بأنها ظاهرة منفصلة عن الدين، خاوية الأفكار، حشدية متوجسة، يقول ص (١)

(...يسود ويسيطر... ثم يتراجع وينحسر...!)

(..وينحسر حين يتشبع ويتوقف عن التغذية الحافزة والمحفزة)

وتغافل أنها ظرف تاريخي متجدد، وقدر رباني واقع، وهي سنة كونية في تجديد الإسلام، واستعادة مجده وسلطانه....!

وأنها نابضة ومتجددة، بتجدد الإسلام، وبقائه على وجه البسيطة ،،،! وإلى هذه الظرفية المتجددة، لا المنقطعة، قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم ((بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء)). ونقل النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عن القاضي عياض رحمه الله، أنه قال في معنى الحديث :

(أنّ الإِسْلام بَدَأَ فِي آحَاد مِنْ النَّاس وَقِلَّة ، ثم انْتَشَرَ وَظَهَرَ ، ثمّ سَيَلْحَقُه النقص وَالإِخلال ، حتى لا يَبْقَى إلا فِي آحَاد وَقِلَّة أَيْضًا كَمَا بَدَأَ) اهـ .

إذن العملية عملية تجددية تفاعلية، حسب الظروف والمعطيات التاريخية والثقافية، ما بين قوة وضعف، وسعة وضيق، وكثرة وقلة ، لا أنها حركة جامدة، ولدت مرة بلا قصد، ولا تكاد تعود، كما يفهم من كلامه ....!

ولربما قراءات المؤلف في الأنساق الثقافية، وفلسفته اللغوية والاجتماعية ، وإعلانه موت النقد الأدبي، كان له تأثيره الثقافي والمنهجي عليه، بحيث حاكم الصحوة بنظرية النسق الثقافي، والتي صنف فيها كتابا ذائعا، لم يوافقه عليه زملاء المهنة النقدية والفلسفية...!

فجرى في نقد الصحوة ملاحظا ظرفها الثقافي الشكلي، وسماتها ،واختزلها في موات النسق العروبي القومي،،..!

وليته نقدها النقد الشرعي العلمي الموضوعي ومن خلال خطابها وأدواتها، لكنا قبلنا ذلك،!

ولكن هل يملك هو ذلك،..؟! ربما لو استعان بكتب نقاد الصحوة، لوجد شيئا سمينا بزعمهم هنا، وحميات لاذعة لا تنتهي..!

ولكنه أجرى الصحوة مجرى القضايا والظواهر الثقافية المنتفخة والمتلاشية، فطبق عليها نظرية النسق الثقافي، والتي لامه الكثير عليها، من كونه لم يحدد التعريف المنهجي للنقد الثقافي، أو يبين أدواته...!

وكلامه يوحي بعدم استرداد هذا الظرف لدوره وتاريخه وحيويته،،،،! ونسي أن عملية تجديد الإسلام تجري على هذا الشكل، ولا تزال الحركات التجديدية تنهض من حين لآخر، ويشتد ظهورها عند انطماس المعالم، والشعور بالغربة الدينية، فيورث اللّه تعالى أقواما يقومون به، ويعملون على إبرازه وتجديده،،،،،!

ولهذا كان ينبغي له أن ينطلق في النقد الصحوي من نواح شرعية، وأدوات علمية محفوظة، وليس من خلال ملاحظة سيمياء ثقافية واجتماعية، لا تعطي الانطباع الدقيق والكامل جهة الصحوة الميمونة ...!

وأغفل خطابها، أدواتها، فلسفتها، مقاصدها، براهينها، معالم جاذبيتها...!

ولو تأمل التاريخ الإسلامي لوجد أن هذه الصحوة والرجعة المصدرية، تحيا من وقت لآخر، عبر انتشار العلم، والرد على المبتدعة، أو سيادة العدل، وسلطان عادل، أو بروز عامل الجهاد النهضوي، أو لهج صادق... وقد مرت الأمة من بعد الخلافة الراشدة بمنعطفات وإخفاقات، كانت تثوب فيها إلى دينها، وتستيقظ دينيا وعلميا وجهاديا وسلوكيا...!

من نحو:

- العصر الذهبي للخليفة عمر بن عبد العزيز، وانتشار العدل والبركة في زمانه.

- وقفة الإمام أحمد التاريخية ضد المعتزلة، وتجديده العقدي.

- جهاد آل زنكي في استرداد القدس .

- انتصار المسلمين في عين جالوت بقيادة قطز وبيبرس.

- هزيمة الصليبيين في حطين على يد صلاح الدين وإعادة الأزهر للسنة .

- تجديد الإمام ابن تيمية لمعالم الدين وقيامه بالدين خير قيام.

- جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد.

- ابن باديس والإبراهيمي في الجزائر .

- أثر الشيخ رشيد رضا والإصلاحيين عموما في مصر، والتجذير للاتجاه السلفي، والذي تنامى بعد ذاك .

- أثر ثلاثي اليمن الإصلاحي الحفاظ الشوكاني والصنعاني وابن الوزير ، وصحوة العلم والفكر والنص .

- جهد الجماعة السلفية وأهل الحديث في الهند والنهضة الحديثية .

ولو تأمل المؤلف ملامح التاريخ الدعوي الإسلامي وحركات الصحو والضعف والنهوض، لبدا له أن الصحوة الإسلامية

قد وجد نظيرها في التاريخ الإسلامي، وأن تقلباتها طبيعة تاريخية ، تتجدد حسب الظروف والمعطيات ،،! فالواجب قراءتها من الداخل ، والغوص في الأسرار ، وكما قال الإمام ابن خلدون رحمه الله (إن التاريخ لا يزيد في ظاهره عن الإخبار، ولكنه في باطنه نظر وتحقيق).

فالمراجعة التحقيقية والاعتبارية للتاريخ الإسلامي وتتبع حركات الإصلاح الديني، كان سيساعد في فهم ظاهرة الصحوة، ولكن المؤلف قرأها مجردة من ظروفها الموضوعية والثقافية المتكاملة، ولذا جاءت القراءة خداجا مبتسرة ، ومشوّهة في بعض المواضع ، وقد قال بيرل باك (لو أردت فهم الحاضر فادرس الماضي).،،،!

فالصحوة ظاهرة تاريخية اجتماعية إصلاحية تجديدية ، متصلة بماضينا وواقعنا ، تنشط من حين لآخر، ولم تنته، أو يفرغ صداها، لارتباطها بحركة الدين ووقودها وانطلاقاته... وكلما توفرت التربية الجادة، والحشد العلمي الإصلاحي، وقام المخلصون بدورهم، أثمرت وأينعت، وأحدثت مثل تلك الحشود المرعبة، والتدين المجتمعي الشامل والضاغط..!

ويشهد بذلك حديث التجديد السابق :((من يجدد لها دينها)) وقد تقدم ذكره .

ففي حركة التدين الاجتماعي، غفوة وصحوة، واندراس وتجديد، وتماوت ويقظة، وجد وهزال، وطلائع الطائفة الناجية المنصورة، تضطلع بدور كبير هنا((لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)) كما في الصحيحين..!

ومراحل البلاء الشديد التي تلاحق المتدينين عبر التاريخ ، دليل عملي على انحسار التدين وتدفقه من وقت لآخر، وليس أن الصحوة الحديثة تختلف عن الصحوات السابقة، أو كانت فارقة أو متميزة بالنسبة لها...!

بل من المؤكد قد مرت على الأمة حركات صحوية ذهبية، عادت فيها إلى دينها، ولم تخل من إنجازات وإخفاقات، باعتبار كونها جهودا بشرية، وديناميكية التدين

يحفها الاجتهاد كثيرا..! ولكننا لم نسبر التاريخ جيدا، وأرخنا لما عايشنا وعاينا،،،! وإلا فالأمر أشد من ذلك وأبلغ....!

ففلسفة قوة هذا الدين، أنه كلما قام به أهله، أثمر واتسع وانتقل إلى التدفق الحشدي المرعب، وإذا قصر فيه أهله، ضعف وانحسر، واتسعت المخالفات، واحتاج إلى المجددين التاريخيين، وبروز دور المسجد والمؤسسات الدعوية والخيرية الأخرى ، حتى يعيدوا الحق إلى نصابه، ويحدثوا صحوة تصبح حكاوي ومجالس للمثقفين، وترقم فيها مقالات نقدية....!

وكما قال المولى تعالى: ((وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) سورة محمد .

ولذلك زعمه هنا أنها ظرف تاريخي مؤقت، ليست من فراغ ، بل نتيجة تبسيطه لحشدها وضخامتها الشكلية، ومحاولة تجريدها من الأفكار الدافعة والضمنية المحركة لها،،،! وأنه لولا انطفاء الشعلة القومية ما تسنى لها البروز والنضوج...!

وهي دعوى غير واعية بالوضع الصحوي، لا أصولا ولا أدبيات، وكما قررنا سابقا، بأنه لم يرجع إلى شيء من آثارها ولا مراجع أصحابها، والشرائط الألفية، والتي أبانت نهجها ورؤيتها وأصولها وأهدافها، وما الذي ترمي إليه....!

ولكنه لم يقف على شيء من ذلك قط....!!

واكتفى بالرصد الشكلي السيميائي، وبعض النظرات الشخصية الهزيلة، ولا زلنا نؤكد أن الصحوة الإسلامية بحمد الله تعالى هي ظرف تاريخي متجدد ومتفاعل، يطول ويقصر بحسب قيام أهله به، وتظافر جهودهم، وحرصهم في عرض القضية الدعوية، ((قال من أنصاري إلى الله)) سورة آل عمران . وإذا توفر الأنصار، واشتدت السواعد، وعظم العطاء، سنحت الفرصة التاريخية النهضوية، وتولدت صحوات وصحوات، كان لها الأثر المحلي المنتج، والامتداد الخارجي العجيب .

ولا زلنا نستحضر عبر التاريخ العلمي الاسلامي حفاوة الناس بالعلماء، وتزاحمهم على حلقهم، كما كان يحصل لكبار المحدثين والأئمة الأربعة، وازدحام الناس على

مواعظ ابن الجوزي، ودروس الامام أحمد، والبخاري، واستقبال أهل الرقة لابن المبارك، وهلم جرا،،،،

ومثل هذا النماذج تعطيك انطباعات صحوية قديمة، ارتبطت بالعلم ازدهرت حينا، وتراجعت حينا آخر، وأكدت عظمة هذا الدين، وأنه متى ما تيسرت السبل النهضوية والصحوية الجادة، أنتج مثل ذلك البروز والهيجان، المرعب للخصوم،،،،!

ولكنهم يضجّون من ذلك، وادعوا وجود التدين من قبل، وتجاهلوا تجديد الصحوة الاسلامية وإفرازاتها الإيمانية والأخلاقية والحضارية ،،،!

ولم يقل أحد بانعدام الدين، وإنما أكدنا على تجديدية العمل التديني السلوكي، وما احتف به من صور علمية وتهذيبية وعقائدية واجتماعية راقية، وهنا جوهو التدين والانطلاقة الصحوية، وهي باقية بقاء الإسلام، ولا تزال تتحرك وتتفاعل من حين لآخر ،،،،!

ومضة / التاريخ يعلّم كل شيء، بما فيه المستقبل..!

واللّه الموفق......

خطاب الشريط الإسلامي (١٤)

كان الشريط الإسلامي الوسيلة المخترقة لكل الأنحاء والبيئات، والغذاء الروحي، الصاب في شريان الصحوة، وبدونه لم تكن الصحوة ذات بال، وقد أسهم في ظهورها وتأثيراتها المجتمعية والتربوية، وأوصل رسائلها بلا كلفة...!

بل لو قيل إنه (خارطة الصحوة) ومنحة الله ، في التمدد والتمكين الاجتماعي والفكري، لما كان بعيدا...!

وقد أسس لها، وبنى أصولها، وعمق أدبياتها، وهو ما تجاهله الأستاذ المؤلف ....

والعجيب مع انتفاع الكثير بالشريط الإسلامي، ومن غير المتدينين، حمل الدكتور الغذامي على الشريط، وحشره في الخطاب الهجومي ضد المخالفين... يقول ص ٦٧(...حيث انتشر الشريط الإسلامي وصناعة ثقافة الشريط تسويقا وانتشارا وتأثيرا، ولم تكن لنشر الدين بمقدار ماهي لمحاربة المخالفين والتحذير منهم...) وانتشر عنه ذاك (...الخطاب المضاد والسلبي مع الأمر المختلف بدعوى أنه تغريبي ...)

وأفاد أن ذلك أسس الحشود وضغطها، مما جعلها تهيمن على الفضاء الثقافي على مدى عشر سنوات،،،، الخ

وهذا الملحظ النقدي، قاله سوى الدكتور، وكان متوقعا مهاجمة الشريط من أول ظهوره للتبعات والرهانات التغييرية، المصحوبة به، ومن بدهيات التغيير التصدي للفكر المضاد وافتراض وجود العوائق والخصوم، وكما قال آرنولد بينيت (دائماً ما يصاحب التغيير عوائق ومشقات، حتى وإن كان إلى الأفضل) .

وفي ملحظه النقدي مغالطات لا يمكن السكوت عليها :

١/ حصره للشريط في تلك الوظيفة، جهلا منه أو تجاهلا بواقعية الشريط ومواده وخزائنه ، وأنه كان مصبوبا في الغالب على الجوانب الروحية الإيمانية والأخلاقية،

وأكثر المواد المسجلة ، لو عاد الأستاذ الفاضل إلى تاريخ الصحوة وسجلاتها لوجد مثل ذلك هو الأكثر والأبرز ..،!

٢/ أن المعنيين بقضايا الفكر والرد على المخالف قلة من الرموز وطلابهم، وعلى ذلك لم يكن جمهورها وسيعا، ومن ثم فهمها محدودا، وليس من الحكمة رد الناس إلى الله، عبر الردود على المخالفين، وإلا لما تزايدت قوافل التائبين، وتضخمت حشود المتجمهرين..! والذين أورثوا الحداثيين الهلع الداخلي....!

٣/ أن القضايا الثقافية لا يفهمها أكثر الناس، ولذلك هي خطاب نخبوي، وقد يُسر الأخيار بذلك، ولكن ليسوا في نفس السياق، ولذا لم تنصرف إلى ذلك الصحوة الإسلامية إلا عبر رموز محدودين، وليس كل جمهور المتدينين، الراغبين إصلاح النفس وتزكيتها..!

٤/ الأشرطة المردود بها على تيار الحداثة والعلمنة ، لا تأتي عشر المنتج الصحوي الإيماني، وهو ما جمع الحشود، وغيّر القلوب، وصرف الأنظار، وجعل بعض العلمانيين يتمنون لو بذلوا أموالا لحصد مثل تلك الجموع الغفيرة، ولكنه فضل الله وتوفيقه .

٥/ من أشهر من صدح بنقد الحداثة الأستاذان القرني والغامدي، ومشاركات لسفر الحوالي والبشر وابن زعير في الفكر عموما، لا سيما من خلال مهرجان الجنادرية..! وفي السياق التأليفي لا نعرف إلا قلة كتبوا في هذا المجال، سمى هو بعضهم، وهو الدكتور عوض، وقد حمل عليه الكاتب (حملة شعواء)، بسبب ما سماه مغالطات وجهالة واجتزاءات غير مرضية، وتقديم ابن باز للكتاب....! ومنهم الدكتور عدنان النحوي ومقالات مجلة البيان،،..!

فالطرح كان محدودا، لصعوبة اللغة، وعسر فهم القضايا الفكرية، ولذلك حتى أشرطة الدكتور الغامدي المشهورة كانت (تسجيلا خاصا) فيما أذكر.....!

وأما تصعيدها في النطاق الثقافي، فقد كان محدودا نخبويا، والتفاعل الجماهيري معها تحببا وليس تبنيا محضا، أو فقها لمعانيها، إلا ما كان من شر الحداثة المطلق..!

وأما التحذير الشخصي الصادر من بعض المشايخ كالشيخ الدبيان غفر الله لنا وله، ونعته للكاتب بألفاظ شديدة، فغير مقبولة في الأدبيات الشرعية، وهي مُدانة، ولعلها صدرت في وضعية حماس مشتعل، وإلا فإننا نرفضها، ونطالب بالمعالجة الفكرية والثقافية المتروية،،،!

ولا يحفظ عن الصحويين اتباع هذا المسلك، أو اقتفاؤه نهجا ونقدا وسلوكا منهجيا مع الآخرين،،،،! ولذا تعويله عليها انتقائية مذمومة، وسط خطاب صحوي في طياته محاسن كثيرة...!

٦/ الصحوة في غالب مناشطها صحوة (روحية علمية)، بدليل كثرة منتجاتها في هذا الشأن، من التوبة وتعلية الإيمان، وحض الناس على العودة إلى الله، ونبذ الشهوات والتذكير بالدار الآخرة. وكان لتلك الروحانية أفكارها الخاصة، ومع وجود فكري آخر ينصب على المخالفين، ولكنه ليس بحجم المواد الروحانية، ولذلك لم يطلع عليه إلا شرائح محدودة ،،،!

٧/ زعم أن الخطاب السلبي التخالفي، والغالب على الصحوة، حذرَ التغريب،،! سرعان ما تلاشى مع سنة (١٩٩٧)م ، حينما اتضح للناس خطأ التصور، بسبب ضعف التغذية من الأتباع الجدد، وهذه مقدمة غريبة واستنتاج أغرب،،! لأنه يدل على ضعف الرصد هنا وتغييبه لمؤثرات الدفق التقني ، وإيقاف الرموز، وعدم قيام الأتباع بالدور المأمول..! وهذا الحكم يعكس جهل الكاتب بحركة الصحوة وخطابها الدعوي والثقافي، وأن الامتلاء الحداثي الداخلي جعله يمارس التفسير التآمري تجاه

الصحوة، فوقع مما حذر منه، وهو (العنصر التوجسي) المستحكِم على الخطاب الصحوي، وجماهيريته الكاسحة...!

٨/ الشريط كان متاحا للجميع، ولو ملكوا ناصية الكلام عبر أنديتهم وصحافتهم، وقبلهم الناس، لاحتووا الشريط وتقنياته وسرعة انتشاره، ولكنهم حرموا ذلك، فلم يبق لهم الا شن حملات فارغة، وعديمة الجوهر،،،!

وإلا فإن الصحف ملكهم، والأندية الأدبية ساحاتهم، ومع ذلك، بدا عجزهم، وانكشف عوارهم، وأن المشروع الحداثي كان فاشلا من أساسه، ولم يقدموا حججا مقنعة، ليصبح ثقافة شعبية، يرضى بها الناس،،،! ولو نجح ذلك الهدف، لانتهوا الى مولود جديد، يسمى(الليبرالية) ودعاوى الانفتاح السلبي والتسامح المزعوم،،، ولما قوبلوا بمواجهة شديدة ونحن في عام ١٤٣٧- ٢٠١٦م- مما يدل على ضخامة الوعي الشرعي الفكري الذي أنتجته الصحوة تجاه الأفكار الغربية المشبوهة، والتي يعجز أقطابها عن شرحها الشرح الوافي وتبيانها البيان الكافي للخلائق ،،،!

فمن نحو ٣٠ سنة، ولم يزل المجتمع متمسكا ومتماسكا بالخيار الاسلامي، ولم تفلح العجلة الإعلامية الخليعة في الاختراق وتبديل المفاهيم، لوهاء الطرح، وضعف البراهين، وبدو التزييف، والميلان الشهواني الرغبوي، وارتقاء الثقة في الدعاة وخطابهم الإسلامي المجيد ،،،!

وإلا فقنوات موجهة، وبرامج مستهدفة، وكتاب مأجورون، ومحاولات مستميتة، ومع ذلك، قطع الباري دابرهم، ورد كيدهم في نحورهم،،،((فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)) سورة الاعراف .

٩/ ضيقة المؤلف بالشريط الديني انعكاس للحالة الحداثية المناوئة لكل منتج إسلامي باهر، وزاد من ذلك رصد الشريط لهم، وكبح جماح تغريبهم، برغم كل آلاتهم القوية والثرية من صحافة وإعلام، وكان بإمكانهم استعماله كورقة

ثقافية لهم، ولكنهم لا يملكون الهم القلبي والجد الدعوي، الذي اتسمت به الصحوة..!

وقد شن الدكتور القصيبي حملة شديدة قبله في رسائله لرموز الصحوة، وشبهها بكاسيت الخميني الاستراتيجي قبل الثورة الإيرانية سنة (٧٩) م، وأنهم خطر على البلد ويتلقون دعما خارجيا مليونيا ، كما حكاه الاستاذ كمال عبد القادر في كتاب (حكاية اسمها غازي القصيبي)ص(١٢)، وسمى رسالته الاستعدائية الطائفية (يا اخي سلمان العودة.. اعذرنا لا مكان لولي الفقيه عندنا)

ووبخهم بما يشبه المتاجرين بالدِّين بقوله (تجار الكاسيت)، ولا ارتياب انه كشف لعمق الغيظ الداخلي تجاه الدعوة ومنجزاتها واستغراقها للفضاء الاجتماعي والثقافي فضلا عن الديني والمنهجي،،،! وهو ما يزعجهم ويفت في أكبادهم .

والرائع الحكيم، تجاهل مشايخ الصحوة كالعودة وغيره، لمثل تلك الترهات الاستعدائية ، لإفلاسها التام، وإنتهائها إلى خواء شعبي،،،! سوى ما كان من المتربصين، وهم قلة نخبوية، لا تحل ولا تربط...!

١٠/ كان ثمة شريط مناوئ والمتمثل في الباقة الغنائية المتنوعة، ولم يصنع صنيعة التوهج الدعوي الخطاف، بل كانت هي المتصدرة في الستينيات والخمسينيات إلى السبعينيات،،، ولكنها انهزمت في الثمانينيّات، وباتت تتآكل، لا سيما وقد تاب مالكوها، وانضموا لقوافل التائبين ، وقتلتهم الصحوة، حينما أفتى علماؤها بقلبها موادا إسلامية، فصار تاجر وتائب، يطمس المئات بالمواد الحسنة المباركة، وهذه هزيمة ثقافية لمشاريع التغريب والحداثة،،، لا سيما وركائز التقدم لديهم موسيقى وسينما،،،!

ومن طرائف بعضهم مؤخراً، حينما سئل عن سبب تراجع العرب وتخلفهم، أجاب على البديهة، أن السبب تحريم الموسيقى،،،،هههههه......

١١/ جوهر الشريط الإسلامي كان متماشيا مع وضعية البلد العامة، وثمة أجهزة ترصده وإعلام يتابعه، ولم تمنع إلا أشرطة محدودة، فهمت مخالفتها، وسرعان ما صودرت، وتداولها يكون سرا،،،! ولذلك لم يصغ القرار السياسي لتحذيرات القصيبي وأقطاب الحداثة، لأنها كانت تجييشا غير مسوغ، وهجوما كيديا، مكشوفة مقدماته ودواعيه سلفا،،،!

١٢/ الشريط الإسلامي وبرغم ما لوحظ عليه، فقد أسهم في البعد الشرعي للدولة وفقها الله، وعزز من مكانتها القيادية والعلمية في العالم الإسلامي، وقضى على فلول القوميين، وأعادهم إلى ثكناتهم السرية.

١٣/ وهو كآلة دعوية فعالة لم يخل من مآخذ، وحماس غير رشيد، أو استعجال نادم، أو تحميل وتحامل،،! ولكنه في الجملة كان الأداة الصحوية المخترقة لكافة الحجب والستر، وكان صاروخا عابرا المنازل والمدن والقارات، وأنتج نتايج مدهشة،،،!

ومن المؤسف أن الصحوة لم تنظر له وتكشف عن آلياته وآثاره،،،!

وأظن أن الوحيد الذي تناوله صوتا هو الشيخ العودة في محاضرة (الشريط الإسلامي ما له وما عليه)..! سنة ١٤١١ للهجرة ورقمه (٣٤) تقريبا،

وهو ملمح عقلي راق للشيخ العودة وفقه الله، وكُتبت كتابات الكترونية، ولكنها لا ترتقي الى مستوى الدراسات البحثية موضوعا وتحقيقا وكشفا وتحليلا، في تلك الفترة،،! وربما وقع ذلك مؤخراً....!

ومن المؤسف أن حديث غالب الدعاة عن الشريط كان حديثاً ورديا نرجسيا، تتغافل مثالبه، وقد نبه الشيخ العودة على المحاسن والمثالب، وهو ما لم يفعله أحد تقريبا .

١٤/ من مادة الشريط المؤثرة والعجيبة تلاوات القرآن الندية، والتي كان لها عظيم الأثر في التوبات المتواليات، ورجعة كثير من الشباب والفتيات إلى الدين عملا وسلوكا، وازدهرت الشعائر الدينية، وكانت تنتشر شرايط القران مثل بقية المحاضرات الجذابة، ومن مشاهير فضلاء، لا سيما مشايخ الحرم كالشيخ علي جابر والشريم والسديس ومحمد أيوب والثبيتي، ومن خارجه أمثال المحيسني وسعد الغامدي وخالد القحطاني،، هذا مما أذكره هذه الساعة،،،! وقراء شباب آخرين وفتيان، نفع الله بهم، وكان صوت قرآني آسر كاف في هزيمة مستودع من الشهوات، والأفكار التغريبية،،،!

فآثاره لا حدود لها، واستماعه يأخذ بالألباب ، إضافة إلى المواد الأخرى، وكانت من عادة عوام الناس وشباب الصحوة، امتلاك مواد القرآن، وتوزيعها على نطاق وسيع، أقلق أرباب المنظومة الحداثية الصحافية ،،،!

ولم يكن لديهم قوة ردع وتحصن، سوى اتهام مسلك الشريط، وأنه تحريضي تشويهي،،،، وتلك شكاةٌ بيّنٌ منك عارها،،،،!!

ومما كرس ضيقتهم بالشريط هو التحول الفكري والمجتمعي الذي أحدثه الشريط ، وزلزل كياناتهم المعنوية والمتمثلة في الخلاعة الإعلامية كالموسيقى والدراما، وظهور النساء، والتي كانت تغذي مشروع التغريب والتحول نحو الغرب ميوعة وتعلقا وهزيمة،،،! فظهر الشريط فبزهم بلموعه وجوهره، وأحدث دويا ضخما وخاطفا، يُشبه بتأثير الفضائيات اليوم..

وكان فيه البديل النافع لثقافة زائفة، وكما قال الشيخ الداعية الغزالي رحمه الله (هات البديل إذا أردت أن تغير وضعاً خاطئاً).

فكان خير بديل وأحسنه وأطيبه...

ولم يخل الشريط بالطبع من بعض المآخذ نحو :

- الخطاب الأممي الحاد، والذي كان له تبعات غير محسوبة .

- الحماس الفضفاض غير المنضبط .

- ولوج جل المحبين للدعوة فيه، وبدو العجز العلمي واللغوي أحيانا.

- عدم وجود أكاديمية التدريب الدعوي، وتقصير الجهات الدعوية في التاهيل والتدريب .

- ضعف تنسيق الناطقين به، وتوظيفه احيانا لقضايا ليست حسنة .

- التطلع الريادي الأممي في ظل أمة، لا زالت تحتاج إلى مزيد من التصفية والتربية كما قال محدث العصر العلامة الألباني رحمه الله تعالى . وعدم شعورنا بالعالم من حولنا قوة وفكرا وتوازنا .

- نشوء التجربة الصحوية أسهم في جملة من المثالب.

- الشدة على المخالف أحيانا وعدم التثبت العلمي .

- قلة التأصيل للفقه الدعوي والشرعي ،وضعف الخطاب الشبابي التفقيهي والنسائي التربوي .

- أخذ الناس بالعزائم وعدم اغتفار الزلات، وتضييق مساحة الاختلاف الفقهي الفسيح.

وبرغم كل ذلك فالمحاسن باهرة، والإنتاجية العلمية والإيمانية والمجتمعية، تفوق الوصف، ولكننا ننصف مع إخواننا والنقد لا يخيفنا بحمد الله تعالى ، وكما في صحيح مسلم ((الدين النصيحة)) وهو بيعة معقودة، تعني الوفاء والصدق والتجرد ، وربما يأتي مزيد توضيح لبعض القضايا هنا ، والله ولي التوفيق .

حكاية الصحوة (١٥)

من التسطيح النقدي والفكري، أن تحاول تفنيد مرحلة زمنية باهرة من عمر الوطن والأمة، أو محاكمتها، عبر رواية نفسية، تعبأت بالأسقام والشجون، لتحكي تجربة مخصوصة، فتنعت ظلما أنها (وهابية)..!

وتحتَ عنوان : كيف تقرأ ذاتك،،،؟!

يظفر المؤلف بنص سردي، يخدم فكرته النقدية في تفريغ الصحوة من مضمونها المتعمق، ويؤصل للتناقضات الداخلية المزعومة، عَنْوَن له صاحبه وهو الأستاذ عبدالله المفلح (حكاية وهابية) ليحقق نظرية التوجس والظنون الطاغية على الصحوي ،،، ولدى (سارد صحوي) كما سماه، ولم يعتبر المشاكل الذاتية عند المتدين ابتداء بنوازع الشر والميل الداخلية،،،،

وأن تجربة شاب أصاب أو أخطأ، لا تصلح برهانا عمليا على مثلبة الصحوة الكبرى،،،! فقد تكون تجربة خيالية أو قصة منتكس، لم يُطق رحلة التدين، ويصبر على لأوائها، أو منظومة انتكاس متكاملة على طريق الصحوة..!!. وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم((حُفتِ الجنةُ بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)) .

يقول المؤلف ص(٢٢) :(في رواية حكاية وهابية لعبدالله المفلح، ترى ساردا صحويا يقرأ ذاته، وترى الصحوة أمامك عبر ظنون جيلها، ثم محاسبة هذا الجيل لنفسه ولظنونه ، ولقد تخلقت الظنون عبر نظام الثقة الذهنية، فأنت تثق بالشخص لكي تتحول هواجس الموثوق به إلى يقين عند الواثق.....)

(...... ويجعلك تفهم الحدث من منظومة الصفات الصانعة للتصور، لتدرك أن الصحوة هو حدث سيميائي ، أي ذهني يتم بناؤه عبر العلامات وليس المقولات، مما يجعل الصحوة صيغة ثقافية واستجابة ظرفية، وبما أنها كذلك فإنها لا تختفي، ولكنها تبدل علاماتها حسب المتغير الظرفي كما سنرى لاحقا).

ولنا هنا تعليقات لابد منها، وربما أفتتحها :

١/ -أولا- بمداعبة ثقافية، فأقول : لو قال بدلا من سيميائي حدث سينمائي، لاختصر الطريق في ذهنية الحداثيين والليبراليين، وأن الصحوة والتدين ادعاء كاذب، أو أكياس من المين المتدفق،..!

وأذكر أن بعض خصوم الصحوة تلكم المدة، كان إذا استشاط غضبا، وضاق من انصراف الجماهير عنه وعن حفلاته وندواته،،،، قال: وش عندهم،،، مجموعة من الكذابين....!

فالتعبير والتوصيف بأنها حدث تمثيلي، يختصر لكم كل الحكاية، وأن التدين تمثيلية، جل المجتمع يحسنها، فحاكتمونا من خلال ظنون درامية وليست حقيقية...!

ثم تركيزه أنها مجرد علامات تتغير حسب الظرف والمعطى الزمني، تاكيد لدعوى الكذب والسيمياء، وأنها تظهر خلاف ما تبطن، وهي تهمة فاضحة، لا تليق - بالكاتب الموضوعي الطالب للإنصاف - تبنيها وتنزيلها بلا مسوغات شرعية وموضوعية ...!

وإلا كيف تولد هذا القبول العرمرم والشعبية الجارفة، وتعرف الناس على الصادق من الكاذب، وحصول ابتلاءات الطريق، ومرحلة السجن(١٤١٥) وتجاوزها بنجاح باهر، مع تجاهل الكاتب لها في الكتاب وفي المحاكمة، ولو من طرف أخي،،! وأغفل حتى آثارها وتجدد الخطاب، والحوادث التاريخية الضخمة كضربات (الحادي عشر من سبتمبر) وما خلفته من نتائج وإفرازات على البلاد والدعوة وتطوراتها السياسية والفكرية والاجتماعية ..!

٢/ ثانيا: عنوان الرواية محل توقف استفهامي، وتحفظ مبدئي، إذ كيف يصح حمل جهاد وجهد (دعوة سلفية إصلاحية)، للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، تمددت آثارها إلى خارج الجزيرة العربية، وكان لها مستنداتها العلمية، وأسبابها

الموضوعية، وبلغت أطراف آسيا وإفريقيا، يصورها وينتهي بها إلى مشهد درامي مُسِف،،،!

يبتدئه كاتبه من خلال رحلة ظنية في متاهات الذات المتأرجحة بين الفضيلة والرذيلة، ومحاولتها، تفسير تحولها او تراجعها الأخلاقي بسبب أخلاقيات، الصحوة الصارمة،،،،، فكيف يليق تحميلُ الوهابية السلفية منهج البلد الديني السائد، لحقبة صحوية كانت تأخذ الناس بالعزائم حرصا وتسابقا وابتهاجا،،،، باعتبار أنها تجربة بشرية علقت بها بعض التصرفات، والتي لا يجوز أن تلبس بها جوهر الدعوة الإصلاحية الحقيقي...!!

ويستطيع كل ناشئ روائي حتى يشوه ظاهرة عالمية في السياق الفكري،أن يكتب عن منتكسيها

من مجربيها، ومن لاكها ولم يستطعموا، أو حملته بعض الظروف النفسية أو الاجتماعية

إلى التراجع والتبدل.. !

((فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)) كما صح بذلك الحديث...

وقد حكى المؤلف شيئا من محاولة الشيخ الجلالي وفقه الله إلى جذبه لحديقة الاستقامة،حينما عرض عليه إلقاء كلمة، فلم ينجذب وما راق له الطريق الدعوي الصحوي، وارتمى للعروبي،،،،،! كما في صفحة (٣٣) .

فالناس يختلفون في التعاطي مع التدين وتحمل شروطه والتزاماته، وليس مع الإسلام، كما أسئ فهمه سابقا، ،،! وكم من أناس تدينوا مدة، ثم انتكسوا لأسباب الله أعلم بها، وبعضها ظهر للرائي، وكثير منها خفي،،،!

وفي التراث السني ما يشهد لهذه القضية وأنها ظاهرة بشرية اجتماعية تتوالد من حين لآخر، ففي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم ((إنّ الرجل ليعملُ عملَ أهل الجنة - فيما يبدو للنّاس - وهو من أهل النّار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النّار - فيما

يبدو للنّاس - وهو من أهل الجنة)) وأشار العلماء أن من أسباب ذلك خبث سريرة بعض الناس، عافانا الله وإياكم من ذلك .

وأذكر في جيلنا من تعثر وتكدر، بسبب قوة شروط التدين، أو ضغط أسري، أو دواخل نفسية، أو انحراف بيئي، أو تخاذل إخوانه عنها وغيرها، ولم تحمل الصحوة أو تجرم، موضوعيا ، لقناعتنا أنها مجموعة أسباب متراكمة، لا يصح وليس من العدل حصرها في التدين الصحوي الصارم والجاد...!! وليس معنى ذاك تزكية الصحوة في كل ممارساتها، بل فيها اخطاء نبهنا عليها سابقا، وبعضها كتبنا فيها كتبا مخصوصة، نحو: من أوابد الأشياخ، وتراجع الرموز الدعوية وغيرها .

وللإمام ابن القيم رحمه الله مقولة جيدة في بعض أسباب التراجع يقول (ذنوب الخلوات أصل الانتكاسات وعبادات الخفاء من أعظم أسباب الثبات) ا هـ.

نعم كان هنالك ممارسات في التربية شديدة، وخالطها جهل من بعض حدثاء المربين، ولكن لا يجوز أن تحمّل الصحوة الإسلامية كل تلك السلبيات، لأنها في النهاية جهد بشري، له وعليه،،..!

٣/ يزعم أن الصحوة صيغة ثقافية واستجابة ظرفية..!

ويكررها من حين لآخر، وكأن الصحوة الإسلامية لم تبزغ عبر أسباب علمية وموضوعية وتكوينية أدت إلى بروزها وتطورها،،،، ويرد ذاك كثيرا لهزيمة (٦٧م) ،وانحسار التيار العروبي، وأنه ما كان لها هذا الظهور والحشد المرعب، أن يتصاعد، لولا وجود ظرف تاريخي أوحى لها بالانطلاقة والظهور...!

وهو هنا يُغفِل جهود العلماء والحركات التجديدية عبر التاريخ الحديث كالدعوة الإصلاحية السلفية، وما صنعه الإصلاحيون في مصر كالأفغاني ورشيد رضا، وجمعية العلماء في الجزائر كابن باديس والإبراهيمي وغيرهم، وجهود المساجد التاريخية وحلق العلم،،،، وأنها بذور كان لها ما وراءها من نهضة ويقظة وتحرر، ولكن بالإسلام وللإسلام...!

٤/ بالعودة إلى كاتب الرواية والمستشهد بها، يبدو بجلاء الحكم التعميمي المحتقن، وجعل الصحوة مخزنا للظنون والتوهمات المضادة للتدين الحقيقي، وأن أخطاء المتدينين تنسحب على حدائق صحوية يانعة، وسبق أن فرقنا بين التدين وصحوة التدين، وأن ما قدمته الصحوة من وبيص إسلامي بهيج كان صحوة للتدين والمحافظة الصارمة، وليس أن الصحوة قدمت دينا جديدا،،،،!

وبالتالي اذا فهمت هذه المقدمة، انحل إشكال التعثرات التدينية، والتخبطات السلوكية، ومسارقة المتدين لضغط المجتمع أو أهله أو شيخه ومدرسته التربوية...!

لأنها حالة طبيعية في تنمية الاستقامة، ومجاهدة النفس، إلا ما شذ منها، وفي القرآن ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)) سورة العنكبوت . وقوله تعالى ((علم اللّه أنكم كُنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم)) سُورة البقرة. وهو يتحدث عن أطهر جيل وأزكاه .

وهي ضريبة من ضرائب الاستقامة، والخطأ هنا في سحبها على المشهد الصحوي الإسلامي بحذافيره ،،!

٥/ قول المؤلف : يقرأ ذاته...!

مفردة هامة في أنها تجربة شخصية، وامتحان ذاتي، لا يصح أن تعتبر قراءة موضوعية للصحوة، إلا مواضع محددة، وكونها شخصية يحفها ما يحفها من المبالغة أو المنازعة الداخلية، وعوالج الروح وتقلباتها...!

وبالتالي هل يصح اعتبارها تجربة صحوية عامة،؟! وكأن أتباعها يعانون الأمرّين في تدينهم وحفاظهم الإسلامي ، ونسي، تلذذ جماهيرها بعامة، واستطعامهم حلاوة الإيمان والتدين ، ولم تكن تلك الحشود المتدفقة على المحاضرات بعد القناعة الفكرية والحركية، إلا تعبيرا عن السعادة والصفاء الروحي، والذي أنتجته الصحوة وكان من ثمارها وبركاتها،،،! وكون السارد هذا لم يوفق له، ليس بالضرورة أن يكون ذلك وصفا سلوكيا لكل شبابها وأبنائها...!

فالمقدمة السردية لا تتفق منطقا ودليلا أن تكون وثيقة على ظنونية الصحوة وأوهامها ، وخلوها من الفكر المتقن والحجج المنطقية والعملية...!

واستشهاد المؤلف وفقه الله، ساقني للرجوع للرواية ولم أكن عرفتها من قبل، ولست من جمّاعي الروايات السعودية، لأثرها السيئ، والرسالة الشهوانية المنحلة في أكثرها،،إلا إذا تميزت الرواية بحدث جاد وبناء فني رائع، ربما دعاني ذلك لاقتنائها،،،، وحينما رجعت لرواية(حكاية وهابية) تبين لي الآتي :

١/ أن العنوان تجنٍ على الدعوة السلفية، وغير أخلاقي، وغايته التسويق والترويج والانتقام،،،،! وواضح أن من أهدافه النبز والتعيير لكل ما هو ديني محافظ...!

وغالبا إذا ما انطوت الرواية على مين ومبالغات، أو كانت مقدماتها غير مقنعة، لم يكن له إلا العنوان الصاخب الجاذب، لمزيد الربح المادي والمعنوي والاجتماعي .

٢/ حرصت الرواية على كشف دواخل المنتكسين، ونظرة المجتمع لهم، والتأرجح الذي يعانيه المستقيم مبادئ الاستقامة والالتزام ، لا سيما ضغط المجتمع الرقيب عليه، وصرامة المحاسبة الدينية في بلد محافظ كالمملكة .

٣/ محاولة تبيين أن التدين قيد شديد على صاحبه، وأن شؤون المجتمع تساعد على ذاك، فكل شيء مرتبط بالدِّين حتى الخروج منه كما ذكر ..!

٤/ استطاع الكاتب تمرير بعض الرسائل السياسية الناقدة للوضع الدولي والمحلي وبيان ما يعانيه المسلمون من مظالم شديدة، جر بعضها لنشوء العنف ، أو فقدان الرؤية والتوازن .

٥/ مواضع كثيرة في الرواية أشبه ما تكون بالسيرة الذاتية ومغامرات المتمردين، والتي تجاربهم القديمة والمتعثرة، تحملهم على الخوض والمصارحة بلا استحياء .

٦/ استطاع المؤلف إدراج كل موضوعات الصحوة دقيقها وجليلها من مواقف وكتب ومواضع ولهجات وشخصيات، بدءا بحلقة القران وأفغانستان، فمرورا بالفكر والمحاضن، وانتهاء بالجهاد والجوالة والتصنيف الدعوي ، والتفاعل مع قضايا الأمة، مما يعني أنه كان من أبنائها المتعمِّقين، وحضوره لم يكن طارئا، بل تعرف عليها وممارساتها وأشخاصها، ولكن حدث له ما حمله على الضعف والتراجع ،،!

٧/ تحاول تقنيط المنتكس إلى درجة قفل باب الرجعة، وإظهاره بمظهر الحيران الضائع، وأن الصلف الصحوي يحمل أحدهم على مثل ذلك..!

ولا ننكر وجود التشدد والصلف، ولكنه كان طبيعيا بالنسبة لبلد منغلق قبلي، ولا يعرف الانفتاح، وحتى إسلاميا كان منغلقا، واحتكم إلى قول واحد وأساس ديني عميق،،،! بخلاف بلدان أخرى، وقد نبهنا على ذلك .

وأن أوضاع المملكة الشرعية والسياسية والاجتماعية أسهمت في ذلك، بخلاف بيئات أخرى، وهل هذا كان سلبا بمرة، أو استفادت الصحوة منه؟! هذا محل بحث وليس الجواب هنا قطعيا، بل فيه بحث وتفصيل .

٨/ حاولت الرواية تقديم خطاب نقدي للصحوة وخطابها وتداعياتها، وحملت الصحوة ما لم تحتمل، وتناست في النهاية أن الصحوة سائرة ضمن سلطة سياسية قد ترى شيئا، أو لا تراه

..! وتماهت الصحوة في غالب المشهد الثقافي والاجتماعي، إلا ما كان من مواقف مشهورة، واستفاد الطرفان من بعض ، واستقوت الصحوة ببنية الدولة الدينية، فقوي النصح، وعظم الاحتساب، وتلاشت التيارات القومية والتغريبية ..!

والعجيب أن السارد هنا حاول بقدرة عجيبة تنزيل كل مشاكل المنتكسين في التاريخ الصحوي ، ويشهد لذلك طول الرواية ، واختصاره لها لاحقا ، ولفها في شخصية واحدة، تراجعت ولم تستطع مواصلة الطريق .

٩/ جوانب من الرواية تحولت إلى سرد صحافي لا روائي وتاريخي تحليلي، فضعفت البنية الفنية لها.

١٠/ الحنق النفسي والشخصي كان حاضرا بقوة، والله تعالى أعلم بسببه، ولكنه ما كان ينبغي أن يكون حافزا على تسطير رواية مطولة احتوت كل موضوعات الصحوة السعودية، ومن ثم نتج عنه :

- إضعاف البناء الفني للرواية .

- خلط السرد بالمقالة والتاريخ .

- محاولة تشويه الصحوة وتحميلها كل رزايا المجتمع ، وكأن غيرهم كانوا في مأمن منها .

١١/ لم تخل الرواية من جوانب نقدية مهمة من نحو المغالاة في التصنيف وتأسيس المجتمع المدني ، والتنبيه على مبالغات المجتمع والتي ورثتها الصحوة، وألبست بعضها اللبوس الشرعي ، وصراع التيارات والاصطفاف الحزبي ...

وهي من أروع التوصيفات..!

ومع ذلك نقول :

كان بإمكان الأستاذ السارد هنا توصيف مرحلة الصحوة بكتاب موضوعي متقن، كما صنع الأستاذ عبد العزيز الخضر في كتابه (السعودية مسيرة دولة ومجتمع) بدون الزج بالقالب الروائي المسف في توصيفات غير لائقة، وتجرح المشاعر

المسلمة والعفيفة، والعمل الفني لا يسوغ النزول لهذا المستوى الكتابي على طريقة القصيبي والحمد وخال....!!

ومثل تلكم الرمزية الفنية، لا تسوّغ المخالفة والتجاسر وتقليد الروائيين المنحطين، ففي الأدب المحافظ العفيف غنية عنه والله الموفق...!

ومضة/ تضخيم أخطاء الصحوة ديدن خصومها الاستئصاليين..!

الحراك النسوي عام ٩٠م (١٦)

بسبب حديث المؤلف عن قيادة المرأة للسيارة، أضطر للحديث عن التظاهرة النسائية والمطالبة بقيادة السيارة للمرأة، ونزولهم إلى الشارع، برغم أنها أخذت أكبر من حجمها، ووُظفت من (النخب السياسية والثقافية)، لتمرير بعض القضايا، والتغطية على ما هو أعظم، ،،!

والتي هي رسالة للمسؤول والمجتمع بضرورة التقبل بلا تراجع، ولو نشأ ذاك في ظل (أزمة خانقة)، كانت تهدد أمننا وحياتنا،،،،، لم ننس فيها رسائل السلامة المتكررة، لاسيما في مناطق الرياض ونجد والشرقية، والتي ارتأوا انطلاق الحدث النسوي فيها....!

وليس العجيب نقله الخبر وتحليله المسألة من الناحية الشرعية أو الاجتماعية ، ولكن العجيب اطلاعه مع مجموعة من المثقفين بذلك التدبير القافز، على الإرادة الشعبية والقانونية، وأنه لا يوجد أي تأييد يذكر لدعم تلك الحركة، سوى مجموعة من النسوة، نقل أنهن من المتحررات، والدارسات في الغرب، والمعروفات بالميول الليبرالية والحداثية...!

ولو قدر فتح تحقيق في تلك الحادثة المتكتم عليها، ورفعت دعوى من محتسبين، أو غيارى وطنيين، يَرَوْن فيها (افتئاتا مجتمعيا)، وجنوحا غير مسوغ، فسيُدان كل المخططين والمتآمرين فيها، ولو بأثر رجعي...!

ولكن متى تحل ساعة ذلك...؟! هههههههه

والذي يؤكد ذلك، وصفه الحدث والترتيب المسبق لها... يقول :

(كنا في اجتماع دوري وتشاوري...، وكنا على علم بأن السيدات في اجتماع آخر يتدارسن خياراتهن، وكيف يتصرفن مع قضية القيادة....، ولكن الاجتماع النسوي أخذ بالتسخين حتى نضجت الفكرة ، وصار قرار الخروج ...، ومن ثم جاء هاتف على منزلي من إحدى المشاركات تخبر زوجها...) الخ (ص ٩٤)

علاوة على تبسيطه للحدث، ولو وقع في أتون محنة، وأجواء مكهربة، قد تثير المشاعر، وتفجر الأفئدة الغاضبة، وليس من الحكمة الثقافية ولا السياسية ولا التغييرية، استعمال تلك كوسيلة ضاغطة، وذات ظرف غير ملائم..، لاختراق نسق ديني وثقافي غالب ....!

ولذا يقول الدكتور في (ص٩٦) منذهلا ومنزعجا من الاستجماع الصحوي المتوثب....(هكذا تم تصوير أمر بسيط وتلقائي ، صدر عن نساء رأين حقا من حقوقهن تحول إلى نقاش بيزنطي...)

ومن حق قرائنا الكرام، والأجيال الحديثة، أن تكشف لهم حقيقة هذه المظاهرة النسائية، وماذا كان فحواها ومغزاها...!

في يوم الثلاثاء (١٩/٤/١٤١١هـ / ٦ / ١١ / ١٩٩٠م) خرجت مجموعة من النسوة في مظاهرة صاخبة طالبن فيها بالسماح لهنّ بقيادة السيارة ، وسخِرن فيها من العلماء حيث قلن :

لا نريد علماء عميان ، لا نريد أصحاب المكانس (يقصدن اللحى والعلامة ابن باز رحمه الله) ، وقامت إحداهن بإلقاء الحجاب أرضاً .....

وكان عددهن قرابة (٤٧ امرأة) من النساء المخمليات ، وقمن بقيادة (١٣ سيارة) ، ونقطة الانطلاق كانت من فندق صلاح الدين شيخ العرب ، واتجهن إلى شارع الملك عبد العزيز حوالي الساعة الثالثة إلا ربع عصرا ، وكانت هناك وكالات أجنبية نقلت الحدث مباشرة ، وتم تصوير المسيرة مِنْ قبل (CNN) وتم تواجد مكثف لمندوبات وكالات الأنباء العالمية ، والسفارتان الأمريكية والبريطانية كانت حاضرتين ...

وكنّ يرددن قيادة ،،،، والباقي يرددن حرية ،،،،، ومعهن منشور يقمن بتوزيعه ، وهو رسالة لبعض المسؤولين عن واقع المرأة الاجتماعي البئيس، وتعبهن مع السائقين ، ويحملن رخصا أمريكية ،،الخ وانتهى الحدث،،،،!

وأشيع بعد ذلك اعتقالهن وفصلهن، ولكن سرعان ما سمعنا أنهن أعدن إلى أعمالهن، ولكن رد المجتمع الصحوي والشعبي كان فائقا كل التوقعات،،،،،،! وجعل أكثر

الجهات تبادر بالمنع والاعتذار كجامعة الملك سعود ، باعتبار أكثر المشاركات ينتمين لها ، ونفى المدير حينها أن تكون الجامعة مقرا للإلحاد والطيش، وأنها لن تسمح يتكرر مثل هذه التجاوزات الخ ...!

وهنا تعليقات :

- من المؤسف أن يكون شغل المثقفين الشاغل هو قيادة السيارة، وليس التنمية أو إصلاح التعليم أو تمكين الوعي، أو تأسيس لثقافة نيرة طامحة، تجعلنا في مصاف الدول المتقدمة، وتمنح المرأة حقها الأساسي شرعا وعقلا، قبل القيادة والتحرر زعموا ...!

أو حتى دعوة لمشروع التجنيد الشبابي للحرب، والتي أوشكت على البدء...!

- هذا الكلام دليل مادي واعتراف ضمني (بتنظيم سري)، يحاك للمرأة والمجتمع، والنقلة بهن لواقع جديد يفضلونه، وهو قيادة السيارة باعتبار أنه حق شخصي، أو حركة تحريرية تنموية يراد لها ما بعدها ، كقضية الحجاب والاختلاط...!

وكلامه هنا ينفي مزاعم بعض المشاركات وأنه بلا تخطيط مسبق كالدكتورة عزيزة المانع في حوار نشر لها في (جريدة المدينة) في أن المسيرة كانت دون تخطيط مسبق ، حيث تقول : اتصلت بي إحدى صديقاتي تقول إنها ومعها بعض صديقاتها ينوين عمل مسيرة، يقدن فيها السيارة بشكل علني بالشارع ، وتعرض علي الانضمام لها ، ووافقت على ذلك، وحدد لنا المكان والتوقيت والذي كان بعد أسبوعين،...!

- وهو برهان حقيقي على صحة(القانون التوجسي) هههه.. الذي سلكته الصحوة تجاه خصومها من الحداثيين وغيرهم ، وأنها تعاملهم بمبدأ سوء الظن ، وانتفعت (بباب سد الذرائع الأصولي) ، لتحمي الجناب الشرعي والأخلاقي ، وفي الحديث المتفق عليه ((فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتعَ فيه)) كما في المتفق عليه..! فكيف تلام الصحوة على ممارسات توجسية، وهي

تواجه خلايا سرية نائمة، تخطط لصالحها متجاهلة الواقع الشرعي والنظامي والتاريخي للبلاد ، ويمكن أن تجر بتلك المسالك الخفية، للويلات ...!

فلديهم حلقة رجالية، وأخرى نسائية .....!!

أو أنهم من أرباب (المنهج الخفي) كما يقال ويشاع...!

وإن أية حركة بعث إسلامي جديدة، تنشأ في ظروف مجتمعية متآمرة عليها، فلها الحق في تلقين أتباعها مفردات التوجس..!

وفي هذا تأكيد أن دعاة الانفتاح وحداثيي البلد هم من سبب نشوء التوجس بتلك الصرامة والحدة المفتعلة ....! وقد قال تعالى ((خذوا حذركم)) سورة النساء . وقال : ((قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)) سورة آل عمران .

- دعواه أنه أمر بسيط وتلقائي، يناقض الاجتماع المعقود ، والترتيب المبطن، والمكالمة الهاتفية، والعريضة المعدة، والشعارات المرفوعة ، والتي ذكر بعضها المؤلف سابقا .

- إن تصوير الصحويين حينها أن ذلك (انقلاب اجتماعي)، وهزة أمنية في ظروف حرب خطيرة، لم تكن إلا حقيقة باينة للعيان، لا تقبل اللبس ولا المزايدة، وأن استغلال ظروف المحن عبر التاريخ لم يكن إلا من ديدن المتربصين والمشبوهين والمفلسين،،،!

وإلا أين الخطاب الثقافي والاجتماعي، القاذف في الناس (الثقافة التنويرية) الداعية لمثل ذاك الانفتاح ،،،!

وإحداث تحول اجتماعي يرضى بالمطروح الحداثي بكل تمدناته وتطوراته، فتساق السيارة، ويباع الإلحاد ، وينزع الحجاب، ويفشو الاختلاط ،،،،! ولم يحصل لهم ذاك،،،!

ومشكلة هؤلاء أنهم يسيطرون على كل وسائل الإعلام، ولم يجنوا إلا الفشل والإفلاس، وضاقوا بالمسجد والخطبة والشريط والمطوية،..!!

وعجزت منتدياتهم عن تأسيس انفتاحهم المطلوب، واستجلاب الناس إليه....!

وهل المجتمع من السذاجة بحيث لا يعي مصلحته، كما يقول بعض العتاة، ويقلدهم حمقى فاغرون، فلا يصل إليهم ذلك التنوير المشهود ، فيحشدون الحشود لكل ما يرغبونه ويشهدونه، لمن يمنع الحياة الديمقراطية عن الوطن العربي..؟!

قضية مثل السيارة لم تستطيعوا تأطير المجتمع عليها...! هذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على بلوغ الإفلاس الثقافي لديهم...!

أو أنهم أمام تدين مجتمعي صاعد، لم يتكيف مع تلك الدعوة....!

أو أنه من وعي الشعب، فقد أيقن بأنها دعوة ليست بريئة، وخلفها أحلام وآلام، وتطلعات، لا تليق بمجتمع إسلامي محافظ.....! نهايتهم وغاية أمرهم كما قال الأستاذ محمد الشمراني: نخبة من (زوار السفارات)..!

وها نحن في عام (١٤٣٦- ٢٠١٥) حيث نسمات الانفتاح ومزاهير الحاسوب، والبعثات، والياسمين السياحي، والعولمة بظلالها الخادعة والمتوحشة...، وقبل مدة (حركة ٢٦ أكتوبر) ومع ذلك باءت بفشل أغلظ من السابق....! لماذا،،،؟!

برغم تغير الأجيال وانفتاحها، وهجراتها وبعثاتها الطويلة، وشرعنة الاختلاط، وبرلمانيات،... ولم يصدق الناس تلك الدعوى، وكان حجم الرفض شديدا، والاستجابة طفيفة... وفي ظل مرحلة تاريخية، شُوه فيها الخطاب الإسلامي، وحُملت الصحوة الإسلامية إخفاقات التنمية في الأقطار العربية،....! وسقوط الأندلس من التيار الإسلامي،،، ههههه

ولعبت مجموعات إعلامية دورا سلبيا للتغريب والمسخ والاستلاب،...! ومع ذلك فشلت الحملة التنويرية والحقوقية في ٢٦ أكتوبر...!! يا ترى ما السبب..؟!

وقبلها محاولات بعض النساء كما صنعت منال الشريف، ولم يلتفت لها رموز الدعوة والمشايخ، واكتفوا بشباب اليوتيوب من غير المتدينين، الذين لم يمهلوها التقاط النفس، وصبّوا عليها جام السخط الأخلاقي والوطني...!

والسبب للمطالع الراصد المنصف ما يلي :

١/ وهاء الطرح الليبرالي والحداثي التحرري ، حتى وإن ناقشتم نقاشا شرعيا، واستندتم لمجيزين كالشيخين الألباني والمصلح...؟ فالناس لم تسلْ عن الأدلة، ولكنها فقدت نصحكم المجتمعي، وثقتكم الثقافية، وعلمت وبعد عشرين سنة، كعلمها الأول، أنها (دعوة مشبوهة) ، ونافذة للتغريب ومسخ للحجاب....؟

بادروا يا أفاضل إلى تغيير لغتكم، وتجديد خطابكم، والانتقال إلى سياق جديد، وملعب آخر، فقد وضحت الأوراق، وانكشفت الحقائق...؟!

٢/ جعلتم أس حقوق المرأة وعمدتها قيادة السيارة، ولم تطرحوا حقوقها الأخرى، وأهملتم حقوق الأرامل والمطلقات واليتامى،،،،؟ وبات خطابكم تقريعا ثقافيا واجتماعيا في حل هذه المشكلة...؟

وأنتم من جعلتموها مشكلة، وإلا فإن الخطب يسير فيما لو تنوول الموضوع بمصداقية وواقعية..؟ وليس بإحضار آراء المجيزين....؟

لأن المسألة ليست يجوز أو لا يجوز...؟ كما أبانه الشيخ الفاضل د/ سلمان العودة في محاضرته الفائقة، والتي شرّقت وغربت وكشفت أضغانهم (لسنا أغبياء بدرجة كافية،،،،؟)

بل لأنكم خسرتم كل مشاريعكم الثقافية، لما تعلقتم بقشة هشة لم تسعفكم، أو تنلكم،،،،؟!

وتبين المجتمع بامتلاء واعتلاء، أن دعوتكم تغريبية، وللدكتور سفر الحوالي حديث أعقب الحدث تناول فيه قضية التغريب في العالم العربي...؟

ولو تبنى الشرعيون ذلك، لرأيت النقاش ينتقل إلى عالم البحث والنقاش الموضوعي، وليس في الصالات المغلقة، وتحت التحريض الخفي ودعم (المناضلات النسوية)..؟ ونسقية الافتئات المجتمعي، أو عبر رد فعل توجسي واسع المدى، كما تقولون.....؟!

والأعجب أن الدكتور وأمثاله من دعاة حقوق المرأة، ورفض (ذكوريّة الثقافة)، لا يستشعرون تماسك المجتمع السعودي دينيا واجتماعيا، وأن اختراقه ليس بالسهل، برغم كل الانفتاح التقني والسياحي، وهذا من بركات الصحوة و(تجذيرها القيمي) في بيوتات الناس، مع دعواه انقضاؤها، والصحيح أنها لم تنقص بالكلية ولكنها تشكلت وتطورت، ولا زالت تحتفظ بأسسها القيمية في التدين والعمل والممارسة، والاحتشاد، الذي يزعم فناءه ،،هههههه.....

- إن الواقع التاريخي غير مسعف لكم، ففي التسعين، جعلتموها في أتون محنة هزت أفئدة الناس...! فلو الشياطين دعيت إلى ذلك لأبت وتمنعت، هههه...! ورأت أن من الحكمة الشيطانية ، أن لا تصعد الأجواء كلها، فتخسر كل خداعاتها السابقة...!

بسبب الحرب، وما تألم وتتألم، فكيف بمجتمع قبلي محافظ، ، لم يكن جرب الحروب وقتئذ...!

وفي الموعد الأخير، لم يساعدكم ذلك، لأن الناس أبصارهم إلى مخرجات الربيع العربي، وانقلاب مصر، وكوارث سوريا والعراق...!

والوطن أحوج ما يكون إلى الإصلاح السياسي والاقتصادي ،ليس إلا ،،،! وأقل ما يقال لكم: هات موضوعا آخر..... لا سيما وسُعار الليبرالية عال وارتفع في السنوات الأخيرة...!

فعنصر التوجس وعدم الثقة في الطرف الآخر، لا تزال عديمة....

ستقول لي...

إعلام كاسح وفعل فعائله...!

وابتعاث ممنهج....!

واختلاط بسطوة القانون والفقر...!

وروايات تخصصية سفلية...!

وبطالة مخيفة...!

ومع ذلك أعلن مجتمع العولمة وإفرازاتها، أنه مع مجتمع ما قبل النت والتطور ...!

وتطور يجر للمخاطر، لا مرحباً به،،،لسان حالهم...!

ويصدق عليكم قول الباري تعالى((فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)) سورة الأعراف .

ولا يزال المجتمع يئوب للقبيلة ومحافظتها إن أبيتم الدين، تمنعا وصيانة للمجتمع وعرضه وأخلاقه...! وهذا من محاسن القبلية ولو عكرت في مواضع مشهورة.....!

- طبعا صدرت فتاوى محرمة للقيادة آنذاك، ولكن الوضع الآن تطور واختلف وأجازها شرعيون يَرَوْن أنها حق وباتت ضرورة، ولم يبق إلا (التمنع الشعبي) خشية الانفراط وذهاب الفضيلة، وذكر المؤلف اثنين أجازوها،، وللشيخ المفكر ابراهيم السكران وجهة نظر أخرى، تعلق الجواز بمقدمات أمان اجتماعية اذا تحققت هان الخطب، يقول في رسالته(وجهة نظر في قيادة المرأة للسيارة):

(الزج بقيادة المرأة للسيارة دون توفير بيئة أمن أخلاقي مناسبة يشبه من يأتي بالأجهزة الدقيقة والخطرة في المستشفيات الأمريكية ويضعها في مستوصف شرورة، حيث لا وسائل سلامة ولا صيانة، فتصبح عبئاً خطراً بدل أن تكون حلا)..... والله ولي التوفيق ،،،

ومضة/ عدم فهم أوليات حقوق المرأة يعطل حقوقها وأساسياتها،،!

الحجاب شريعة وهوية (١٧)

يشعرك المؤلف في توصيفه لفرضية الحجاب بأنه مجرد منحى ثقافي أو علامة اختيارية للمرأة ، وليس تشريعا ربانيا منصوصا عليه،،،!

فمثلا يقول ص(٦٨)

هو أبرز العلامات الثقافية

- تظل الثقافة صارمة في تعاملها مع المرأة .

- ولقد حدثت ردود فعل رسمية عنيفة في تونس وسوريا،،،،

- تثبث المرأة حجابها بوصفه حجة ثقافية تواجه به التسلط عليها .

ثم شرع في تحليل قصة الفتاتين الفرنسيتين(ألما وليلي) واللتين أسلمتا برغم نشأتهما في بيت غير متدين ، فالأب يهودي ملحد ، والأم قبائلية علمانية...

وساق أشكالا من العقاب الاجتماعي الجماعي، حينما خالفتا الثقافة الفرنسية، وأبديا تمسكا شديدا، ومنها :

- الفصل من المدرسة

- التهديد المستمر

- تأنيب الذات

- التلفظ السلبي

- العنف اليدوي

- البصق عليهما وسطل الماء المراق .

وهذا الفصل هنا من أغرب فصول الكتاب لعدة اعتبارات :

١/ لا مسوغ موضوعي من سياقة قصة الفتاتين بموضوع الصحوة، لأن الحجاب قضية شرعية تعبدية وثقافية مجتمعية في كل بلاد الإسلام، وهو تعبير بالضروري عن الهوية الإسلامية والعربية .

٢/ ولم تتضح الصِّلة والغرض المعرفي هنا من ذكرها، إلا إذا كان يريد تقرير معنى الإرادة الذاتية والاختيار الانتمائي للفرد في مقاومة الضغوط التعسفية الظالمة، وضررها حين التصلب الذاتي، والثبات الشرعي والأخلاقي، أو يريد الوصول إلى أن حجاب المرأة المحلية قرار فقهي سياسي وليس اختيارا ذاتيا، تدافع عنه الأنثى بكل شرف واعتزاز،،،! ولا أدل على ذلك مثلا من نزع بعض السعوديات الحجاب من مقعد الطائرة،،،!

وهذا واقع صح، وشاهدناه، ولكن فهو لفتيات معدودات لسن بالكثرة الكاثرة من المحبات المستقيمات وهي أغلبية أنثوية بحمد الله تعالى .

٣/ ربط الواقع المصري بالواقع الفرنسي ومحاولة عقد نسيج تشبيهي غير متسق ولا مقبول، لاختلاف الدين والثقافة واللغة، ومع العَلمنة المفروضة والتغريب الغازي للحياة المصرية، إلا أن الحجاب كان معروفا في الأرياف، حتى بدايات السبعينيات فغزا الجامعات والأحياء الراقية والمجتمع الفني، فاعتقد الجهال شراءهن بالأموال....!

ولم يفتشوا في سر المغناطيس الديني العجيب .

٤/ وتلمح من موضوع الفتاتين المحجبتين تهوين مسألة الحجاب، وأن الخيار الفقهي والمقاصدي المسالم، التجاوز، لا سيما وقد استدل برفض المسلمين لذاك ورغبتهم في سن قانون مانع، لئلا يورث لهم الاستيحاش الاجتماعي في وسط عَلماني مكين،،!

وكان الأولى صب اللوم على (منهجية فرنسا) وتناقضها الداخلي وعلمانيتها واللبرلة المزعومة حرية واختيارا ...؟

ولم يحصل ذلك إلا من طرف خفي...؟

وكانت فرصة مواتية له في كشف التناقض الغربي، والعلمنة الزائفة، وكيف أن (قطعة قماش) كانت كافية في زلزلة المبادئ العلمانية والليبرالية، فلم تطق فرنسا ولا أخواتها (مظهرا دينيا)، ينصب تحت الاختيار الديني الشخصي،،؟ وليته كما عمد إلى تشريح الصحوة، أن يشرّح ويقوّض البناء المعرفي والثقافي لمجتمع تشدق بالحريات وحمايتها أحقابا طويلة،،،؟

ولكن كما قال القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ// ولكنّ عيبَ السخط تبدي المساويا،،؟

٥/ ثم الحجاب في (الواقع المصري) وفي معرض الكتاب لم يكن يمثل احتجاجا بقدر ما هو رجوع للمحضن الديني والتعبير الاجتماعي الصادق، فهو هوية تابعة لشريعة ربانية، بخلاف (العلَم الفلسطيني) فهو إشارة احتجاجية صريحة رادة على السادات وزمرته صنيعَه في (كامب ديفد ٧٩م)، وتصدٍ لكل محاولات الاختراق الثقافي ولو من بوابة الكتاب والنشرة التطبيعية ...؟

وهو موقف جلّ الشعوب العربية سوى ساستها وبعض مثقفي التعاسة وبيع الأرض والقيم..؟

وكما قال شاعر النيل :

أنا لولا أن لي خاذلاً من أمتي// ما بت أشكو النوبا

أمةٌ قد فتّ في ساعدها// بغضُها الأهلَ وحب الغربا

وهي والأحداثُ تستهدفها// تعشق اللهوَ وتهوى الطربا ؟

٦/ لم تكن خشية (فرنسا) من انهزام ثقافي تجاه الحجاب، بل كانت خشية دينية عقدية من اتساع الإسلام، وترحيب النساء الفرنسيات، وانحصار المد الشهواني المتماشي مع العلمانية والحريات ، لا سيما وقصة الفتاتين باتت حدثا إعلاميا مجلجلا، ودافعت المنظمات الحقوقية، ووالدهم اعتبر ذلك حقا شخصيا لهم، وإلا فأين حرية التدين المزعومة، والخيارات الشخصية المتاحة...؟!

كل ذلك ذهب أدراج الرياح لئلا يسود الإسلام ويخترق العمق الأوربي،،،! ((ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)) سورة التوبة .

وقد أبدتا الفتاتان ثباتا عجيبا سيغري بقية المراهقات بحسن الإسلام والمعاني الجذابة فيه، برغم البصق والسطل والفصل،،،، يا دكتور عبداللّه..هههههه...!

٧/ ادعاؤه أن الحجاب لم يكن سمة للمملكة صحيح من حيث المبدأ، ولكن الصحوة أصلحته وزادت في حشمته ومنعت الاختلاط، وسلام الأقارب والجيران، وعمقت مفهوم النقاب، بل جعلته الحجاب الصحيح الكامل، بحيث تخفى كل محاسن المرأة، وعالجت مشاكل الأفراح ومدارس البنات، وفرضت الرقابة المجتمعية، وهي كلها نوافذ للتأثير في المرأة ..!

وبرغم التشدد هنا في الاختيار الفقهي النقابي، إلا أنه مكن لصيانة المرأة، وحماها من بطش المتحرشين، والشهوانيين، وهو بكل تأكيد مزعج لطلاب الحداثة الفكرية والتطويرية، المنبتة الصِّلة بالتراث...!

٨/ سؤال الدين كان محسوما ثقافيا لدى جماهير الصحوة،،،،! خلافا لما زعمه المؤلف، ،،! وأنه لا يوجد دولة تتبنى الإسلام عقيدة وشريعة، وتذب عنه سوى المملكة، وتجعل لهيئة كبار العلماء مرجعية عليا،،! ومن هنا اكتسبت الحضور الإسلامي، وبقية الدول تزعم أن دستورها الرسمي الإسلام شكلا، ولكنها تعلمن الحياة وتحارب المساجد والحجاب، كما مثّل هو بسوريا وتونس ومصر،،،، وزد عليها دولا أخرى، وحرمان الملتحين من المناصب والوظائف المهمة .

وهذا بحمد الله لم يحصل في المملكة لاعتقادها أن بقاءها وسيادتها بالإسلام ، وهو مصدر استمدادها الشرعي، إضافة إلى الفطرة القبلية، والتدفق الصحوي الإسلامي البارز.

٩/ بالنسبة (لعَلمانية تركيا) ظهرت لسبب صراحتها واعتراف ساستها ودفاعهم عن قضايا الإسلام والعروبة، مؤخراً، وإلا في أيام نشوئها كانت الغاية في التطرف، ولم تكن مجرد فصل الدين عن الدولة، بل صياغة مفهوم جديد للتدين وإجبار الناس عليه، من نحو ما صنعه (عصمت إنونو) من إجبارالأئمة في المساجد بتلاوة الفاتحة باللغة التركية، ومنعهم من الدعاء بالعربية، والأذان، والنساء أعطيت كل الحقوق، إلا حق ارتداء الحجاب،،،!

وبالتالي كانت (علمانية متوحشة)، بخلاف مصر وتونس حاربت التدين دون فرض لون محدد ، فاختلف الأمران ..!

أما الأنظمة العربية فادعاؤها الإسلام كان دستوريا مكتوبا فقط، وأما شعوبهم فهي إسلامية خالصة، وبعضها ضارب في التدين برغم القمع السياسي المفروض..!

ولا أدل على ذلك، من تدفقهم وخروجهم من عنق الزجاجة بعد ما سمي بالربيع العربي، لا سيما تونس وسوريا ، فقد اتسعت الدعوة في تونس مثلا ، وعاد الحجاب، وازدهرت المساجد ، وصلى الشباب، وقد كانوا محرومين من ذاك، ولكن ما إن هرب الطاغية، إلا ويُبعثون من جديد ،،،!!

وحينما نقول دول دينية أو إسلامية فالمقصد إسلامية الشعوب ليس سواها ، باستثناء المملكة فإنها تتوخى الإسلام في غالب اتجاهاتها ، ثبتها الله على ذلك.

١٠/ واستدلاله ببيت شوقي:

رمضان ولى هاتها يا ساقي،،،،

مشتاقة تسعى إلى مشتاقٍ

فليس منهجا للشعوب العربية، وإنما يتشدق به بعض المثقفين، ويقوله آخرون على سبيل المزاح، وليس أنهم يتمسكون موسم رمضان، ثم ينفرطون بعده...!!

١١/ ليس ثمة تضاد بحمد الله بين الجامع والجامعة، في الذهنية الشعبية، لأن الإسلام دين العلم والمعرفة، ودين النسك والإبداع، ولم يحرم شيئا نافعا يوصل إلى الله ويعمر الحياة، والجامعات والعلوم المدنية متمشية مع النظرة الشرعية، واستوعب الإسلام جلها، بخلاف الموقف الكنَسي من العلم، ونشوب الحروب من جرائه والإعدامات التي طالت علماء أوربا آنذاك.!

وقد استفادت أوربا بعد ذلك من أعلام المسلمين ونقلت وسرقت بعض المعلومات والنظريات العلمية في ذلك، ولا يمكن نكران ذلك لمن يعرف حقيقة التاريخ..!

بقي أن أنبه على مسألة الحجاب وأنه في الفقه الإسلامي واجب الاتباع بخلاف النقاب، ولذا يصح للنظام الإسلامي منع السفور والتبرج، وبث الهيئات للرقابة والمحاسبة بخلاف أوربا العلمانية فالدين ملغى، وهو حرية شخصية، وبالتالي استدلاله بكلام الفيلسوف الليبرالي (جون ستيوارت).. (ليس من حق أحد أن يقرر تحرير الأفراد رغم أنفسهم ،،،) ص(٧٢) كلام لا يستقيم مع الفقه الإسلامي ، لأننا مأمورون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ((كُنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..)) سورة آل عمران.

ولأن الحرية في الإسلام مرهونة بالنظام والانضباط فهي حرية مسؤولة،،،!

فلو أرادت كاتبة علمانية أو روائية حداثية ، أن تطبق عناصر كتابتها عمليا بالسير بلا حجاب لوجب على المجتمع محاسبتها وزجرها، حماية لها وصونا للمجتمع من بلايا الانحراف والتحرش، وفتح الباب لأخريات سقيمات ينتظرن اللحظة الغربية وانتقالها لبلادنا ،،،!

ويقال لها ليس مكانك هنا إن رغبت السفور والانحلال،،،!

ومن ثم غادرن من لم تطق مناظر الحشمة الإسلامية إلى بلاد أجنبية أو قل عربية،،،،، ليس المؤلف بغافل عنها..!

ويعرفن بطروحاتهن وكتاباتهن،،،!

فهل يريد الدكتور سامحه الله أن نطبق مبدأ جون هنا...؟!

لنحقق الخيار الذاتي للفتيات،،،! ،،،والسلام،،،.!

ومضة/ شناعة فرنسا في مناقضة علمانيتها أشد من تمسك الفتاتين الصابرتين...!

مفاهيم جديدة للاحتساب(١٨)

يبدو المؤلف ضَجِرا بشدة من قضية الاحتساب والمفهوم الصحوي له، وخطّ خطوطا فيه، ونظر تنظير العالِم بالواقع الاحتسابي، والمأخذ الفقهي، والدقة المقاصدية، وتحس من خلال الطرح المكنون، حاسته النقدية، ومفرمته الكاشفة لوضع دعوي مغلوط، وقدم رؤية محدّثة بزعمه وفهمه،،!

فتعالوا ننظر ما الذي ارتآه في هذه المسألة ذات الخطورة....!

- يقول تحت فصل: ثقافة الاحتساب ،سلطة الرقم سلطة الصوت : (هناك علاقة ثقافية ما بين الرقم والصوت،،،،،! وكل حركة ثقافية إذا امتلكت حشدا وصوتا عاليا ، فإنها ستكتسح على الغالبية الصامتة ،،،!ص(٧٥)

وهذه دعوى بلا دليل، بل الأغلبية الصحوية كانت في النطاق التديني الصحوي، ومسرورة بالإنجازات الدعوية.

- يقول(جرى في الصحوة أن استخدم مصطلح إكثار السواد ، كقيمة تحفيزية لندب شباب الصحوة للتجمع في المكان المقترح،،،، ص(٧٥)

- (يكون المعروف أمرا من الأمور الدين المتفق فيها، ومن هنا وصفت بالمعروف ، أي ليس مما خلافي واجتهاده ومفتوح للخيارات...) ص(٧٦)

- (ولكننا سنرى أن الأمر يجنَح به الحماس ليشمل المسائل الخلافية وقد حدث ... مع قيادة المرأة للسيارة والنقاب ، ... وأمور صغيرة كاللحية وتقصير الثياب...) ص(٧٦)

- (... أن الهيئة غير احتساب الصحوة، فهذا تطوعي وتلقائي ويتحرك بإرادته وحشده ولا يتقيد بالرسمي...) ص(٧٦)

- احتساب الصحوة أخذ ثلاث صيغ: الاحتساب بالضغط، ويقصد الاحتشاد، والاحتساب بالتبليغ، ومثل له بجماعة التبليغ ص(١٠٢) والاحتساب بالعنف، ومثل له بحركة جهيمان ص(١٠٦) الواقعة ١٤٠٠ للهجرة ،،،) ص (٧٧)

- (..في معرض ٢٠١١م تجمع المحتسبون وتصرفوا على الرغم من وجود مكتب رسمي لهيئة الأمر بالمعروف...) ص(٧٨)

- (...الاحتساب لكشف التغريب : تم بناء نظام ذهني محكم الحلقات حول التغريب المجتمعي والثقافي ، وبأن المجتمع ضحية لمؤامرة تغريبية ، تديرها عقول وطنية،،،) ص (٨٢)

- (أن الاحتساب الصحوي اتجه لاختيار أصعب الخيارات في تناقض تام مع حديث عائشة : ((ما خُير رسول الله، بين اثنين إلا اختار أيسرهما)) وادعى أن المحدث مسلما رحمه الله بوب له: باب مباعدة النبي صلى الله عليه وسلم عن الآثام واختياره من المباح أيسره...) ص(٩٧)

وهنا خطا علمي ننبه عليه في موضعه ...!

ونعلق هنا تعليقات لابد منها :

١/ أولا : حقيقة الاحتساب والمعروف :

الحسبة كما يعرفها علماؤنا (ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع والاستهانة).

وهي وظيفة رسمية تضطلع بها الدولة المسلمة لتأمين حياة الناس ودينهم ، ويُنتقى لها الأكفاء الجيدون .

وليس معنى ذاك منع الآخرين من المشاركة، لأن الله يقول: ((كُنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) سورة آل عمران .

فدل على وجوب المشاركة من الجميع قدر طاقته وجهده وأيضاً لحديث مسلم ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).

قال النووي رحمه الله: (وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين رحمه الله: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة). (شرح مسلم٢/٢٢).

٢/ حقيقة المعروف والمنكر:

فالمعروف لغة ضد المنكر ويطلق على الوجه والجود وما يسديه الإنسان .

واصطلاحا : اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات). لسان العرب (٢٤٠/٩)

والمنكر هوالمنكر في الاصطلاح: كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه. (اللسان٥/٢٣٣)

وقيل ما قبح شرعا وعقلا، وقيل غير ذلك .

٣/ الموقف من المسائل الخلافية : وهل تدخل تلكم المسائل المختلف فيها في قضية الأمر والنهي، أم يتجنب الإنكار فيها، لأنها ليست قطعية أو من المجمع عليه،،؟! وما علاقة ذلك بالقاعدة الأصولية (لا إنكار في مسائل الخلاف)..؟! ومثّل هو بمسائل يتأكل بها التيار الحداثي كالحجاب والسيارة للمرأة وما شابهها...!

وخص المؤلف ذلك بالمجمع عليه واستثنى المختلف فيه كهذه المسائل وأشباهها، وهنا يتجلى الخلط بين الخلاف والاجتهاد

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

"وقولهم مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل. أمّا الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب

إنكاره وفاقاً. وإن لم يكن كذلك فإنه يُنكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء.

وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضاً بحسب درجات الإنكار.

أما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد ، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس).(بيان الدليل ص٢١٠)

وقال تلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله:(وقولهم "إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها" ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل، أما الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء، وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مَسَاغ لم تنكر على مَنْ عمل بها مجتهداً أو مقلداً..) (إعلام الموقعين ٣٠١/٣)

وأنكر ذاك الإمام الشوكاني رحمه الله واعتبرها أعظم ذريعة إلى سدّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،،، كما في كتابه (السيل الجرار).

وقال ابن قدامة المقدسي فيما نقله ابن مفلح : (لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه، فإنه لا إنكار على المجتهدات). الآداب الشرعية لابن مفلح (١٨٦/١)

وبخصوص مسألة حجاب المرأة لمشايخنا الأجلة تفصيل وتدقيق مستوفى فيها، وفيهم من كان أستاذا للمؤلف ويجله ويثني على طريقته التعليمية وأنه علمهم التفكير النقدي،،،! وهو العلامة المحقق شيخنا محمد العثيمين رحمه الله، فيقول

في بعض فتاويه (رحمه الله، رداً على من قال: "المسائل الخلافية لا إنكار فيها: " لو أننا قلنا المسائل الخلافية لا ينكر فيها على الإطلاق، ذهب الدين كله حين تتبع الرخص؛ لأنك لا تكاد تجد مسألة إلا وفيها خلاف بين الناس. نضرب مثلاً: هذا رجلٌ مسّ امرأة لشهوة، وأكل لحم إبل، ثم قام ليصلي، فقال: أنا أتبع الإمام أحمد في أن مسّ المرأة لا ينقض الوضوء، وأتبع الشافعي في أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء، وسأصلي على هذه الحال، فهل صلاته الآن صحيحة على المذهبين؟ هي غير صحيحة؛ لأنها إن لم تبطل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، بطلت على مذهب الشافعي، وإن لم تبطل على مذهب الإمام الشافعي، بطلت على مذهب الإمام أحمد، فيضيع دين الإنسان.

المسائل الخلافية تنقسم إلى قسمين؛ قسم: مسائل اجتهادية يسوغ فيها الخلاف؛ بمعنى أن الخلاف ثابت حقاً وله حكم النظر، فهذا لا إنكار فيه على المجتهد، أما عامة الناس، فإنهم يلزمون بما عليه علماء بلدهم، لئلا ينفلت العامة؛ لأننا لو قلنا للعامي: أي قول يمرّ عليك لك أن تأخذ به، لم تكن الأمة أمة واحدة، ولهذا قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي –رحمه الله-: " العوام على مذهب علمائهم".

القسم الثاني من قسمي الخلاف: لا مساغ له ولا محل للاجتهاد فيه فينكر على المخالف فيه لأنه لا عذر له..)انظر فتاوى الباب المفتوح.

ومستخلصات فتوى الشيخ وتقريره :

- أن الخلافيات متعددة وكثيرة ولو ترك الإنكار فيها لضاع الدين .

- يفرق بين الخلاف والاجتهاد ، فالأول ينكر فيه والآخر لا ينكر فيه الا على العوام .

- أن العامة على دين ومسلك علمائهم كما قال العلامة ابن سعدي رحمه الله.

- حلافا لما يريده المؤلف من العامة، بل يريد يربي في المرأة طبيعة الاختيار الفقهي لما يناسبها إن لم يكن تمردا فقهيا ، بدعوى أنها مسالة خلافية..! ودعواه أن المسائل الخلافية لا يجوز فيها الإنكار منقوض بكلام الناس، وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء أمثلة وتفصيل لهذه المشكلة .

وقالوا في بعض الفتاوى:

ولهذا النوع من المسائل أمثلة كثيرة ، منها :

١- إنكار صفات الله تعالى التي مدح بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم تحت مسمى : "التأويل" وهو في الحقيقة تحريف للنصوص .

٢- إنكار بعض الحقائق التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم مما سيحدث كنزول المسيح وكالميزان والصراط .

٣- ما قاله بعض المعاصرين من جواز أخذ الفائدة على الأموال المودعة في البنوك ، مع أن هذا هو عين الربا الذي حرم الله ورسوله .

٤- القول بجواز نكاح التحليل ، فإنه قول باطل مخالف للعن النبي صلى الله عليه وسلم المحلِل والمحلّل له.

وغيرها مما لا يأتي على الحصر،،؛ فهل يقول عاقل فضلا عن فقِيه أن لا إنكار فيها،،،؟؛

٤/ تصنيف الاحتساب : حاول استقراء وضعية الاحتساب فخلص إلى تقسيمه أقساما شرحها في كتابه، وزاد على الصحوة ما ليس منها، إذ ليس كل مسار ديني يمكن إلحاقه بالحالة الصحوية المحلية، وإدخاله جماعة التبليغ والجهيمانية في مصاف الصحوة فيه نظر، وغلط علمي وتاريخي، إلا إذا قصد المعنى اللغوي فيمكن، لأن الصحوة الفعلية التجديدية في المملكة كانت بعد حركة جهيمان، بل إنها كانت من آثارها حيث اتسمت بالعلم والهدوء والسلمية ، وأما التبليغ فهي حركة تدين منعزلة في الواقع السعودي الصحوي، وظهرت نخبوية مبكرة، إلى أن فنيت، ونشاطها في غالبه خارجي أقصد خارج البلاد ، ولم تكن متوازية مع العمل الصحوي المتسم بالعلم والوعي الفكري والسياسة الشرعية، والتي تجلت في قضايا الأمة الكبرى، وهو مما يتنافى مع منهجية التبليغيين...؛ ولم تسلم من مؤاخذات وفتاوى علمية من رؤوس أئمة السلفية، كإهمال العلم الشرعي والخروج الجماعي وتسويق الأحاديث الضعيفة وترك النهي عن المنكر،،؛ مع أن لها جهدا هدائيا

لا نظير له ..

ولذلك لم تتناغم مع النفس الصحوي، وكان حضورها في فترة ما قبل الصحوة، وتلاشت بعد ذلك في الواقع السعودي، بل اشتداد العود الصحوي ونكير المشايخ عليهم ، عزلها تماماً عن الأثر الأخلاقي الذي أحدثته سابقا، وأسلوب الاستلطاف المطلق، وهو من محاسنها الرائعة، ولكن لم تندمج بالصحوة....!!

وحركة جهيمان إن كان قصد في أول نشأتها فصحيح، وأما في اقتحامها الحرم وهو منكر مجرّم، فإنها هنا محاولة مهدوية انقلابية، تقمصت غلافا سياسيا ودينيا، وانتهت بنهجها العنفي من وقتها، ولم تكن الصحوة الرشيدة امتدادا لها، أو ذات صلة عضوية بها، كما يقول الحمد وبعض الهجين الفكري يقول(جهيمان قضي عليه جسديا ولكنه انتصر فكريا وثقافيا..) كمحاولة للربط ليك كل الحركات الدينية،،، ولكنه ربط مغلوط، ومحاولة تزييفية، للفارق المنهجي والذرائعي، وهي فتنة مرفوضة، وقى الله العباد والبلاد شرهم..!

٥/ الاحتساب بالاحتشاد: نعم تميزت به الصحوة وكان من سماتها، ولكنها مارسته في مناسبات معينة كالمناكر الفاشية والتي تأخذ شكل الجماهيرية كالذي حصل من رواد الحداثة في الأندية الأدبية والجنادرية، وأما مناكر الأسواق والحياة العامة فلم تمارس فيه الاحتشاد كما ادعى المؤلف ..! بل مورس فيها الشجاعة الذاتية وصدقية المبدأ..!

ثم إن الصحوة تحركت لاعتقادها بأن الشعيرة واجبة على الجميع، فامتثلت الأمر واجتهدت، وأحيانا سدت خلل الجهة الرسمية وتواصلت في بعض المرات مع الهيئة الشرعية، وهم يعتبرون ذاك واجبا كفائيا، لا سيما ما حصل فيه التقصير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:... (والله تعالى أخبر بأنها (الأمة) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقد أوجب ذلك على الكفاية منها) .(٢٢٥/٢٨).

٦/ تشوه صورة المحتسب اجتماعيا وثقافيا :

وهذا زعم ادّعاه، ونعتقد أن الهيئة كان مرضياً عنها، ولم تتشوه إلا عند خصومها والكارهين لها من سدنة الإعلام والحداثة والعلمنة وبقايا القومجيين،،!

وأما عوام الناس فكانت الهيئة مصدر احترام وهيبة عندهم، وُضعت لحفظ الدين وصيانة الأعراض، وإذا ما تم تجاوز اغتفر لهم، بخلاف السنوات الأخيرة وما بعد الحادي عشر من سبتمبر،،،!

وخلاصة الكلام كله، أن الاحتساب الشرعي عموما لا يتوافق والتوجهات الحداثية، لأنه يعد شكلا من التدخل في الحريات، وهي قضية مقدسة عند حمّاليها، ومستنسَخة برمتها من الفكر الغربي، ولم يستطع أتباعهم من الداخل العربي وعيها أو تطويرها أو تقديم ملحوظات عليها أو مراعاة القيم العروبية ضمنها، وتمييز القيم الإسلامية من خلالها،،،،!

بل كانوا صدى لها وبلا ثمن معروف، سوى ثمن الانعتاق والتقليد الأعمى، ورضا المغلوب بتابعية الغالب والله المستعان .

ويجهلون القيمة الإيمانية والاستعلائية الشرفية للأمر والنهي في الشريعة الإسلامية، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (هذه الآية مدح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويظل هذا معها ما أقاموا ذلك، فإذا تركوا ذلك التغيير زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شرط الخيرية). الجامع للقرطبي (١٧٣/٤).

٧/ زعمه خصوصية الإنكار بالمسائل المجمع عليها فحسب،،! وما عداه فيضاد المنهج الشرعي وحديث عائشة ((ما خُير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما))

فهذا شكل من التفسير الحداثي والعلماني للدين وقراءة جديدة للنص الشرعي، إذ لم يقل أحد بذلك، وإلا لماتت الشعيرة ولضاع الإسلام بهدا المفهوم، ولسادت المناكر، لأنه ما من مسألة إلا وقد حكي فيها خلاف...!

وأما استدلاله بحديث عائشة رضي اللّه عنها فكما وضحته الترجمة وهي للإمام النووي رحمه اللّه شارح مسلم، وأن ذاك مخصوص بالمباحات، ففي الشرح يقول (كان أبعد الناس منه) : فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراما أو مكروها .

قال القاضي : ويحتمل أن يكون تخييره صلى اللّه عليه وسلم هنا من اللّه تعالى ، فيخيره فيما فيه عقوبتان ، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية ، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار ، وكان يختار الأيسر في كل هذا قال : وأما قولها : (ما لم يكن إثما) فيتصور إذا خيره الكفار والمنافقون ، فأما إن كان التخيير من اللّه تعالى أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا).

قال ابن بطال رحمه اللّه في شرح البخاري: (يحتمل أن يكون هذا التخيير ليس من اللّه؛ لأن اللّه لا يخير رسوله بين أمرين عليه في أحدهما إثم، فمعنى هذا الحديث ما خير رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أصحابه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا على سبيل المشورة والإرشاد، إلا اختار لهم أيسر الأمرين، ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأن العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم) . انتهى.

إذن فالمؤلف أورد الحديث في غير سياقه، وليقرر أن المشيخة السلفية اختارت أشد الآراء في مسألة قيادة السيارة للمرأة، وقد حفظنا من أول الطلب (من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب !!) وأظنها للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه اللّه.

وقد عاب هو على الشيخ الدكتور عوض القرني وفقه اللّه، تدخله في القضايا (الحداثية الأدبية)، وهو لا يملك الأدوات من اللغات والفلسفة واعتبر كتابه معيبا علميا،،،! وإذا به هو يتدخل في تخصص الشيخ عوض وإخوانه من الشرعيين فيزل زلة شنعاء تفرغ الشريعة من مضمونها الإصلاحي والدعوي، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،،،!

وأفدح من ذاك كتابه الموازي لهذا الصادر عام (٢٠١١) (الفقيه الفضائي) والذي كتبه على طريقة حذاق الأصوليين من التقرير والفحص والإيراد والمناقشة والاستدلال ، وهو لا يملك أدوات النظر الشرعي ولا الأصولي.،!

فأين اتهامكم وتهكمكم بالشيخ عوض قبل مدة، وفي الكتاب وعلى شاشات الفضائيات،،،،!!

وهنا ننبه على الخطأ العلمي الاصطلاحي الذي وقع فيه ولكونه غير متخصص، وهو نسبة ترجمة الحديث (للإمام مسلم) رحمه اللّه...!

والمعلوم المشهور أن مسلما وضع (الكتب) أي العناوين الكبرى فقط بدون تراجم، والتراجم وقعت من شراح الأحاديث كالنووي والقرطبي وغيرهم . ووجد من يشكك في الكتب أيضا، لكن الأبواب شبه متفق عليها كما نص ابن الصلاح والنووي رحمهما اللّه،

قال الإمام ابن الصلاح في (الصيانة ١٠٣): (ثم إن مسلما رحمه اللّه رتب كتابه على أبواب، فهو مبوب في الحقيقة، ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه، لئلا يزداد بها حجم الكتاب، أو لغير ذلك).

ويقصد أن مُطالعه يشعر بعملية التبويب الممنهجة، ولكنه حذفها ليتخفف أو شغل عنها...!

ولذلك اجتهد النووي وغيره في ذلك واللّه أعلم.

ومضة/ الاحتساب الصحوي كان قويا بذاته لا بظنه وحشوده...!

النقد الذاتي الصحوي.(١٩)

دائماً ما ينتقد المؤلف الصحوة بأنها قصرت في(النقد الذاتي) ولم تمارسه، ويتهمها بالمراهقة الفكرية، وهذا راجع الى تصوره الجزئي والنظر القاصر عن التفكير الصحوي والحَراك الإسلامي المحلي، -رغم أنه مثل- نقديا -في ص (١٢٣،١٢٤) بصنيع الشيخ القرضاوي والدكتور محمد الحضيف ومشاركته في برنامج (حراك) على قناة فور شباب، مع المؤلف - والذي كان من أسبابه كما أشير إلى بعضها سابقا :

١/ عدم اطلاعه على إنتاج رموز الصحوة فالشيخ الفاضل العودة تحدث عن ذلك وأخرج محاضرات سيارة منها : لماذا نخاف من النقد- خلل في التفكير- الصحوة ما لها وما عليها- مراجعات - الحيل النفسية - فقه إنكار المنكر- يا شباب- حوار السيرة الذاتية- والذي أعدته تسجيلات التقوى مشكورة، بريادة د. العشماوي، (حسان الصحوة)وغيرها مما هو معالجة لقضية النقد الداخلي، وعدم إصباغ هالة القداسة عليها..!

نعم كانت هنالك ممارسات خاطئة استقوت فيه الصحوة بتراثها وقوة مبادئها وحشودها، ودينونة البلاد، ولكنها في النهاية كانت ترجع وتتراجع بسبب المسحة العلمية المتلفعة بها، وهو ما لم يكن لا في الحركة التبليغية ولا الجهيمانية...!

وهذه من أخطاء الكتاب الفادحة، فلو استمع لتلكم الأشرطة الدقيقة المركزة، لألغى كثيرا من النتائج التي انتهى إليها،،،! ولكنه اعتمد على رؤيته البعيدة المتباعدة، وكتيبات محدودة التوصيف ، وعدم مماسة ميدانية، كما شُرح سابقا...!

٢/ تطور الصراع الإسلامي الحداثي لا سيما في المناسبات الأدبية ، وبروز جيل الشباب المتحمس والتي اعتقد المؤلف أنها حاكمة على تصرفات الفقيه الصحوي

والعالم الرسمي ، وأن تلك الحشود كانت تزم تحركات الرمز الصحوي حقا كان أو باطلا...!

٣/ المقدمات الخاطئة في التصور المبدئي، والقائم على على الخلط بين الدين والتدين، وأن حراك الصحوة العام ما ينبغي جعله مقدسا ،وإن ادّعاه بعض الجهلة، فيفرق بين الدين وحامله، والإسلام ومتبعه، لأن الأفعال يكتنفها الخطأ ولا ينفك منها بشر مهما علا قدره، وتصاعدت مكانته.!!

٤/ أشاد المؤلف بنظرية القرضاوي التعايشية واعتبرها نوعا من الرشد المتأخر والذي وعته الصحوة وكان مفقودا عنها ، ص (١٢٥) تحت عنوان (نظرية الآخر مقابل الذات) : (إذا كانت اشتراكية معتدلة واشتراكية تؤمن بالحريات وتؤمن بحق الشعوب وتؤمن بحقوق الانسان، نحن نتعاون معها ، ونتعاون حتى مع العلمانية المعتدلة...)

وعد هذا نوعا من الارتقاء الفكري والتعددية الثقافية والتي انتهجتها الصحوة بعد مرحلة المراهقة الفكرية اللاهبة...!

وهنا ملحوظات على هذا التقرير :

- أعتقد أن العلامة القرضاوي قصد بالتعاون مع هؤلاء في مسألة البرلمانات المختلفة والتي بالتعاون والتحالف السياسي تدفع شيئا من الظلم وتوقف عجلة الاستبداد عند حدها، فهو بالتالي يقصد الدول العلمانية، كبلده وتونس والمغرب والجزائر والكويت، لأنها قائمة على النظم العلمانية وبعضها الغاية في التطرّف،،،! بينما الوضع في الحالة السعودية معاكسا، لتبني الدولة للنهج الإسلامي ومجاهرتها بذلك، ودفعها لكل القيم الأجنبية،،،،!فيريد المؤلف هنا مخاتلة القارئ بأن كلام القرضاوي قد يصدق على الوضع السعودي وهذا منتفٍ، للمغايرة والاختلاف...!

٥/ قانون الاعتدال في الرؤية والسلوك والعلاقات العامة :

هو ما يختاره المؤلف للصحوة ولكل الحركات الاجتماعية، ونحن نقول إن الصحوة في الجملة مارست الاعتدال ولم تخل من تطرف، ولم تكن متطرفة مطلقا وخلت من الاعتدال...؟

ولا أدل على ذلك من إشادة العلامة ابن باز رحمه الله بجهود الوزير القصيبي الصحية، رغم تطرف الوزير ضد رموزها ومحاولة استعداء الدولة عليهم، وكتابة عدة كتب في ذلك، لم يُعرها أقطاب الصحوة أدنى اهتمام، وطار بها خصوم الصحوة ووُلدت ميتة، ولم تأخذ زخما شعبيا...؟

وتعاملوا معها بالصمت المطبق وبالبشر الحسن، والتجاهل الذكي، فأسلموا قلوبهن وألسنتهم ،كمنهج الشافعي مع أهل الخصومات:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ//. أرحتُ نفسي من هم العداواتِ

إني أحيّي عدوي عند رؤيته // لأدفعَ الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه// كما إن قد حشى قلبي موداتِ

ومن صور اعتدال الصحوة:

- لم تكن تكفيرية غالية، وتعويلها على مشايخ السلفية العلميين .

- رفضها مقاومة الأنظمة بالعنف، فلم تجنح مثلا لفعائل تنظيم القاعدة...؟

- مشاركة إسلاميين في بلدانهم وتحالفهم مع أحزاب علمانية، ولابن باز فتاوى مشهورة في ذلك ما دام القصد الإصلاح ودفع شيء من الظلم، والرفض الداخلي للحكم الجاهلي الطاغوتي، والتمكين للحكم الشرعي....؟

ومع رفضهم لذلك استثنوا بعض الحالات المشار إليها آنفا ، ففي فتاوى اللجنة الدائمة : (.....إلا إذا كان من رشح نفسه من المسلمين ومن ينتخبون يرجون

بالدخول في ذلك أن يصلوا بذلك إلى تحويل الحكم إلى العمل بشريعة الإسلام ، واتخذوا ذلك وسيلة إلى التغلب على نظام الحكم ، على ألا يعمل من رشح نفسه بعد تمام الدخول إلا في مناصب لا تتنافى مع الشريعة الإسلامية) . انظر " فتاوى اللجنة الدائمة " (٢٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧)

- دعمهم الجهاد الأفغاني والبوسني برغم وجود البدع في تلكم المناطق، والتماهي مع السياق بلا تعقيد أو تحريج ، وإدراكهم دخول الأمريكان على الخط للمصلحة من الدب الروسي، والتعجيل بإضعافه أو إسقاطه وهو ما حصل لاحقا، فكان سقوط الاتحاد السوفياتي من نتائج الجهاد الأفغاني، واستبشرت به جميع الفرق...!

٦/ العجيب أنه يطالب الصحوة برعاية حقوق الفرد والشعوب وحماية الحريات ولا يطالب الأنظمة والمجتمع بذلك،،،!

ولكأنه بدون الصحوة يرفل في حدائق الحرية ويستنشق أريج التحرر والانطلاق،،،!
أو أن خروج الصحوة من المشهد سيوفر ذلك بسهولة،،،،!

ونسي أن القمع الفكري والإقصاء الثقافي كان ضاربا بقوة، وهم حتى في ملاحقهم الأدبية والصحفية أقصوا إخوانهم في المشرب الفكري فضلا عن الاتجاه الإسلامي والذي يعاني من الإقصاء إلى هذه الساعة،،،،؟!

فعن أية حرية يتحدث الدكتور،،،! وعنده الإقصاء، وفيه إخوته وزمرته...!

والإسلاميون المستكتبون الآن في بعض الصحف موجهون لقضايا خاصة، ومقص الرقيب والقمع يطاردهم والأدلة على ذلك كثيرة...!

ولولا ما منّ الله علينا من بزوغ النت وتفجراتها، كنّا لم نستطع إيصال صوتنا وكتابة مثل هذه الردود والتي نشرت بحمدالله تعالى في (شبكة صيد الفوائد) وموقع (الإسلام اليوم) و(محايل الالكترونية)، وقد أرسلت لبعض الصحف الالكترونية فترددوا وجبنوا...!!

وصحيفة عسير نيوز نشرت ردين، ثم أحجمت بعد ذلك، ولم تخطرني بشيء...!!

أما الورقية فدونها خرق القتاد، والله المستعان، وعليه التكلان...!

٧/ موضوع سد الذرائع، والذي انتقده ودندن حوله لابد له من تجلية هنا...:

يقول مثلا ص (٢) (والصحوة ارتكبت أخطاءها.... وصار هذا عبر المبالغة في توظيف مقولة سد الذرائع وتميل إلى أخذ أصعب الخيارات في أي مسألة دينية خلافية، مثل حجاب المرأة وقيادة السيارة، ومسألة النظريات الثقافية العصرية كالحادثة.... وإن فتحها يفتح ثغرات على الإسلام، يدخل منها التغريب والعلمنة......) باختصار.

وهنا تعليقات مهمة :

١/ حقيقة سد الذرائع : لغة هي الوسيلة والسبب إلى شيء ، واصطلاحا هي (حَسم مَادةِ وسائِلِ الَفسادِ دَفعا لَهَا، فمتى كَان الفعل السالِمِ عَن المفسَدَةِ وسيلَة لِلَمفسدَة منعنا من ذلك الفعل). (أنوار البريق ٤٥/٣)

وقال الإمام القرافي رحمه الله : (الوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل، وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل، وإلى ما هو متوسط متوسطة)(التنقيح ص ٤٤٩) .

وهي قاعدة شرعية نفيسة وليست مقولة كما يقال..!

وقال ابن القيم - رحمه الله : (باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، الثاني ما يكون وسيلة إلى المفسدة ، فصار الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين).

وقد أخذ بها غالب الفقهاء واشتهر بها المالكية رحم الله الجميع يقول الامام الشاطبي رحمه الله : (قاعدة الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة ، وإنما الخلاف في أمر آخر .....) " قواعد الوسائل " (ص/٣٧١-٣٧٢) .

وقال الشيخ مصطفى مخدوم :

(وبتحرير محل الخلاف يتضح لنا : أن أصل سد الذرائع متفق عليه ، ومعمول به في الجملة ، وإنما وقع الخلاف في بعض أنواعه ، وفي بعض الفروع الفقهية التي تتفاوت فيها قوة وقوع المفسدة ، وظهور القصد إليها).

والأصل فيه قول الله تعالى ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدوا بغير علم)) سورة الأنعام .

فحرّم سب آلهتهم لئلا يقعوا في المحظور الأعظم وهو سب الله تعالى.

ومن أمثلتها المشهورة :((ولا يضربن بأرجُلهن ليُعلم ما يُخفين من زينتهن))سورة النور.

فمنع ضرب القدمين وهو جائز في ذاته لئلا يفضي لسماع ذلك عند الرجال فتقع الفتنة..!

- والنهي عن قتل المنافقين لئلا يفضي إلى تنفير الناس عن الإسلام .

- وكقطع الفاروق عمر شجرة (بيعة الرضوان) لئلا يُتبرك بها فيقع الغلو في الدين .

- وكالنهي عن سفر المرأة بلا محرم.

والأمثلة هنا كثيرة، ولكننا نتعجب من محاولة المؤلف تشويهها بالنسبة (لقضيتي الحجاب والسيارة للمرأة)، وأن المطلوب فقها وواقعا هنا فتح الذرائع لا سدها ،وخفي عليه الآتي :

١/ الحجاب فرض شرعي وليس سنة أو مباحا، فالستر مطلوب وهو غاية الإسلام في حفظ المرأة وصيانتها من الابتزاز ، إلا اذا قصد النقاب فهذا الذي وقع فيه الخلاف والراجح وجوبه لا استحبابه لحديث ((ولا تنتقب المرأة المحرمة)) رواه البخاري في الصحيح . وفي القرآن الكريم ((يُدْنِين عليهن من جلاليبهن)) وفسر الإدناء عند الأكثر بأنه تغطية الوجه، وصوبه القرطبي رحم الله الجميع .

وستر الوجه لم يفوت مصالح للمرأة ، بل تعلمت المرأة وابتاعت وباعت، وتزوجت وأتمت تعليمها ولم تنزع نقابها، وسافرن للخارج ونجحت التجربة إلا ما كان مؤخراً من استعداء كل مظاهر الإسلام .

والعلماء الذين رخصوا في كشف الوجه خصوا ما لم تكن فائقة الجمال، أو حال غلبة الفساق والفساد، كهذه الأزمنة وما حصل من اشتداد فتنة النساء .!

وأي مصلحة أو ذريعة ترجى الآن من كشف المرأة وجهها،؟! يقول بعضهم: لن تتزوج ويضيق نفسها، ويتصبب العرق من جراء الاختناق،،،! ونقول: ها هي المملكة في اختيار أغلبي عام بوجوب النقاب، ولم تحصل توابع ذاك بحمدالله تعالى . والزواج ماشٍ والنساء يتعلمن منتقبات، ويسافرن، وتخرج لقضاء الحاجة ولم تثبت حالة واحدة في شناعة النقاب عليهن والله الموفق.

وأما سد الذريعة في قيادة السيارة فبالنظر الشرعي والعقلي، ما يفتح من أبواب الشر في مجتمعنا أعظم مما يغلق من المصالح بسببه..! فهي وإن تعطلت مصالحها أو ركبت مع أجنبي، أو شق عليها انعدام المحرم، فإنها تسلم:

- الابتزاز والاستفراد .
- الحفاظ على أنوثتها وعدم التمرد المنزلي .
- خطورة السفر بلا محرم.
- تربية الأبناء والاهتمام بزوجها وعائلها.
- العلاقات المحرمة .

وفي النهاية لا تزال هذه المسالة اجتهادية ولم يقنع المجتمع المحلي لجدواها لسوء نوايا دعاتها، وإن ترخص فيها بعض الشرعيين، فلا يزال البلد غير مطمئن ويخشى عواقب الاتساع في ذلك، مع ما قد يسببه من ازدحام وكثرة السيارات في بلاد تعج بالحوادث المرتفعة سنويا في نطاق الذكور، فكيف بدخول الإناث، وقد نوقشت سابقا، ونقلنا خلاصة رأي الأستاذ السكران، وأنه لامانع تنزلا، إذا توفرت المنظومة الأخلاقية المجتمعية، والله الموفق والمعين .

- أما قضية الحداثة والعلمنة: فدائما يعود لتسطيحها والتخفيف من شرها، ولكأن مصر وبلاد الشام والمغرب ولبنان نعمت بالتطور العلماني وأحرزت خطوات مدنية وعلمية راقية...!

- وهذا شيء عجيب ومدهش..!

ولقد كانت الحداثة والعلمانية خطرين لابد من التصدي لهم،،!

وهل أخطأت الصحوة السبيل، لم يفسر ذاك وعجز عن تقديم تعريف مقنع للحداثة والتي أفحش نقدا للشيخ عوض من أجلها، ولم يقدم تعريفا لائقا منذ نحو أكثر من عقدين من الزمان، واكتفى بعبارة تلفزيونية قالها، أنها (التجديد الواعي) كما تقدم بيان ذلك...!

وحداثتهم تبدو في الأمور التالية :

- إباحة كشف الوجه (السفور) والاختلاط بدعوى فتح الذرائع وما خير بين اثنين إلا اختار الأيسر.

- تجويز قيادة السيارة للمرأة، وبالتالي سفرها ونزع قوامة الرجل.

- تمييع كثير من القضايا الشرعية ورد الحلال والحرام للأيسر المخفف.

- التوسع في مفهوم التعددية الثقافية بلا تفصيل، وهل ذاك في الإطار الإسلامي أم يتعداه ؟!.

- توسيع معاني الحرية، والتخلص من رقابة الناصح والداعية (الهيئة)

- تجاوز شخصية بلاد الحرمين المحافظة وجرها لممارسات غربية وشرعنة قوانين ونظم لا تتناغم والنسق الإسلامي.

- زحزحة العمق السلفي عن المملكة، والذي يتمحور في النص والتراث، ويقفو فهم السلف الصالح.

- تحميل السلفية كل تأخر وجمود، وجعلها أيقونة التحجر والتعويق الحضاري.

- إعمال العقلانية في كل شيء بلا استثناء، بما في ذلك القضايا القطعية وأصول الإسلام، وأنها كلها على مشرحة النقد العلمي بتصورهم .

- تغييب مركزية الدين من الواقع الاجتماعي والسياسي، عند من يسمح به بشكل قشور ومناسبات، ومنهم من يرى ويتمنى تغييبه بالكامل ..!

وكلاهما بكل أسف يستنجد به في الأزمات كما فعل عبد الناصر المصري سنة (٥٦) م، وخطب من الجامع الأزهر لمواجهة العدوان الثلاثي، وكذلك صدام حسين في العراق، في أزمة الخليج، بل غير العلم العراقي إلى (اللّه أكبر) ووهم المؤلف هنا وقال كلمة التوحيد، وأتوقع أنه سبق قلم. ص(٥١).

- يعتقدون أن التفاعل مع الغرب بخيره وشره وتقليده المطلق وتذويب الهُوية ليس (تغريبا)، ويسخرون من ذلك كثيرا، حتى قال ليبرالي عاتٍ ومغلق وهو محمد آل الشيخ الكاتب في (صحيفة الجزيرة) والمفتون بالفكر الغربي، والحانق على العلماء والدعاة : (ليت أمريكا (تبتلعنا) كما ابتلعت اليابان ونصل إلى ما وصلوا إليه ، فالهوية (ما بطعمي خبز) ...!

- وليس له ولا المؤلف أي حديث أو تعليق في الحداثة الديمقراطية، وتقديمها في إطار إصلاحي تقدمي وفق نموذج إسلامي مستنير، بل كل همهم تحديث الإسلام وفق الرؤية الغربية واللّه المستعان .

ومضة/ من مصلحة الحداثيين إبقاء مصطلح الحداثة غامضا فضفاضا مطاطا..!

الصحوة توجسها وشدتها في مقابل المجتمع المثالي..!(٢٠)

يخرج مطالع كتاب الدكتور الغذامي، بأن تعثرات الصحوة وما علق بها من تجاوزات كان سببه شدة الصحوة وغلواءها في نظرية القول الواحد والموقف الصلب السلبي من المخالف،،،!

وهذا إن صح في مواقف محددة، فلا يسوغ تعميمه على الحقبة الصحوية بالكامل، لأننا مأمورون بالعدل والتدقيق والتثبت والإنصاف ، وهذا لعدة أمور :

١/ أن الصحوة وليدة مجتمع منغلق مبتلى بأخطاء اجتماعية وفكرية وإدارية كغيره من المجتمعات البشرية، وهو لم يدخل بعد على مرحلة التطور العمراني إلا مع حقبة التسعينيات الهجرية ، وبدأت البعثات تتحرك، ومحاربة الأمية مشتعلة على قدم وساق،،،،! ووسط بيئي بهذا المنظر لا ريب سينتج أضرارا في التفكير والتعاطي الثقافي والاجتماعي والديني.

٢/ الصحافة المحلية كانت مدرسة في القول الواحد ورفض النقاشات الموضوعية، وتمثل وجهة نظر فريدة،،،! وذلك بلا شك له آثاره الارتدادية على الثقافة والمسجد والدرس والتعليم وعلائق الناس الاجتماعية ...!

٣/ هيمنة السلطان القبلي والذي يؤاخذ بقوة وقانونية داخلية متعسفة، لا تخضع لحكمة ولا لنظر وأناة،،،! ولذلك كانت مرحلة الطفرة واتساع الوظائف في المدن الكبرى فرصة للارتحال وتغيير الثقافة، والتعرف إلى قيم الحياة الحديثة .

٤/ ميلان البلاد إلى المحافظة والاستقرار الاجتماعي والتخوف من كل محاولة إصلاحية، والتركيز على البناء التعليمي والاجتماعي والاقتصادي، وقبل مرحلة الصحوة ظهر ما عرف بالتيار القومي، وكان نخبويا، ومتأثرا بأفكار جمال عبد الناصر ولم يتلاءم والوضع السياسي والثقافي في بلادنا، فانتهى أكثرهم إلى السجن أو التحول الأيدولوجي، وتلاشي فكرة القومية العربية، وكانت فرصة تاريخية لعودة المد الإسلامي إلى المشهد، والذي ظهر في شكل (صحوة مسجدية وعلمية) - بعد أن حاول القوميون والشيوعيون تشويهه، والعمل على تقبيحه-، امتازت بقيم رائعة ذكرناها في حينها،،،! ولا يعني سلامتها من بعض الأخطاء التي هي وليدة المجتمع في أكثرها، وما كان ناشئه التدين فيعود سببه إلى حماس الشباب والاندفاع، واستفزاز المخالف أحيانا كما حصل من رواد الحداثة ومنتدياتهم الغامضة، وقد اعترف المؤلف بأن النصوص الغامضة للحداثة كانت مادة مغذية لنظرية التوجس والظنون ص(١٤٥) والتي انتهت إلى فكرة المؤامرة بزعمه..! يعني أنتم جزء من المشكلة الفكرية ،،،،!!

وهنا أعرج على أخطاء المجتمع قبل الصحوة الإسلامية، والتي يكاد المؤلف يتجاهلها ومن ذلك :

١/ الأحادية الفكرية والمذهبية، وحتى على المستوى الفقهي كان التفكير الحنبلي هو السائد ولذلك مغبته على التفكير الفقهي العام، ولم يكن يسمح بالخلافيات إلا في أروقة الجامعات وبعض دروس المساجد ،وعلى الصعيد الثقافي وعي مختزل، وشللية إقصائية، وتدني تعليمي واضح، وحركة للكتاب والنشر متدنية ...!

بل كان الفن والفنون الشعبية والرياضة هي الابرز ما قبل الصحوة وفي بداياته،،،! والآن عرابوها يتناقلون فيديوهات اختلاط في السبعينيات، ظهور المغنيات قديما، ويتأسفون أن الصحوة نسفت كل ذلك وحجمته، وكما قال أبو دهمان (الصحوة قتلت الجمال أو كل جميل في حياتنا)

ومعلوم ماهية الجمال عندهم...!

ويكفي الصحوة فخرا : تعويقها للمشروع الحداثي التغريبي لأكثر من ٢٥ سنة...!

والفضل للّه أولا..

- ثم لعلمائها ورموزها الدعويين.

- وخطابها العلمي الترقيقي

- وحشدها الإيماني المرعب.

- ومجتمعها الطيع لها .

٢/ النظرة الدونية للمجتمعات العربية الأخرى دينا وخلقا وفكرا واجتماعا وإعلاما، مع محدودية ثقافية وفكرية كانت ظاهرة، ولم يشفع للآخرين، إلا أنهم درسونا يوما من الأيام، بل هم من أسس جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية والتربوية، وأسهموا بشكل كبير، وإذا تخرج بَعضُنَا نسي ذلك، واللّه المستعان .

٣/ السطحية الفكرية من جراء محدودية التعليم وهشاشة الثقافة وتعاطي الإعلام بشكل مبسط، وغياب أدوات التقنية الخارقة والقاذفة بالفكر الإنساني إلى آفاق بعيدة .

وبالتالي كان انعدام الوعي ظاهرا، ولم يكن التعليم كافيا في حل معضلة الوعي وغيابه، بل لا بد من عوامل أخرى تحضر وتتظافر لبناء إنسان متزن يعي الحياة من حوله، ويحسن تقدير المواقف .

٤/ ضحالة ثقافة الحوار ومدارج النقاش ، وهو من نتاج التربية الأحادية والضيق بالخصم والخلاف العلمي..!

٥/ الانغلاق المعرفي والاجتماعي وقلة التواصل بالمجتمعات الأخرى، فإذا ما عُيرت الصحوة بالانغلاق والتشدد ، فإن المجتمع كان مصبوغا بذلك قبل الولادة الصحوية، فلِم التثريب الأضخم حينئذ...؟!

كلانا في الشقاء وفي المصابِ// فهلا أبتَ من رَجْع العتابِ ؟!

٦/ التعميم المعرفي والاقصاء والإطلاقية، خلافا لما ادّعاه مؤلف كتاب(خطاب الصحوة السعودية) الأستاذ محمد بو هلال، ص(١٧٢) من أن هذه الأدواء خرجت من رحم الصحوة، وتناسى المنحنيات الفكرية التي كان يعج بها المجتمع .

وإذا استعرضت قيم الحداثيين وتجنبهم الأخطاء، وجدتهم ليسوا بمعزل عن نقائص المجتمع، وزادوا عليه تبني منهج الإقصاء الثقافي كما تقدم .

وإلا فهم والإسلاميون خريجو مجتمع تعليمي ودعوي واحد ، وظهرت الأيدولوجيا بعد ذلك من مطالعة خاصة، أو تثقيف خاص، أو أهواء نفسية، ولم يحرص أي من الفريقين غلى تلمس الخطوط المشتركة، وما كانت لترى في ظل تماس فكري ملتهب، وتمسك كل فريق بمبادئه،،،،!

وأتوقع الآن أن الوضع تغير، والمسألة اختلفت وحصل نضج من الجانبين،،،!

وتعلم بعضهم من الصدمات السابقة، وفي حكمة اجنبية (السقوط في خندق يجعلك حكيما). فمن لم يتعلم من العقدين السلبيين متى عساه أن يتعلم ،،؟!

ومع ذلك يظل الإسلاميون أكثر الفئات طرحا لتوجههم بالأدلة القوية والبراهين الرصينة، والحشد العلمي الرفيع، وهو ما لا يملكه الحداثيون والعلمانيون لا سيما في الفترة السابقة، وغاية ما كانوا يملكونه شعارات بلا مضمون، ودعاوى بلا تحقيق وتبيين...!

ويسيطر عليهم التخوف الاجتماعي والفكري من مغبة الطرح والمشاركة أو المكاشفة،،،!

وهذا من أسباب فشلهم الشعبي، واختزالهم النخبوي .

وكرههم الإسلاميين خوف الهزيمة وتعري المسلك، ومنه تركهم مواجهة الحجج، والاستجابة لمناظرات دعوا إليها، وكانوا يتهربون ولا يحركون ساكنا، ويعدون ذاك شكلا من العقل،،،،!

وهم هنا كما قال المتنبي :

يرى الجبناءُ أن العجز عقلٌ// وتلك خديعةُ الطبع اللئيمِ

ومضة/ أخطاء الصحوة في غالبها نتاج لتراكمات مجتمعية، هيج بعضها الحماس بعد ذلك ..!

....

وبهذا المقال العشرين من سلسلة القراءة النقدية، أعطي القرّاء الكرام مجالا للاطلاع و للرد والنقاش، ولعلني وقفت على أكثر ما قصده وتعناه الدكتور وفقه اللّه..

وأرجو أن أكون قدمت شكلا موضوعيا لطبيعة الصحوة وسماتها وخطابها، وخصومها...!

ومع أنه بقيت في الذهن أشياء،،، فإما أن نعود قريبا أو في شكل آخر من خلال كتاب أو مقالات تاريخية الصحوة...!

وأنبه أن الدكتور الغذامي أهمل قضايا محورية في الفكر الصحوي وجوهرها، واهتم بالجانب السلبي والسمات والأحوال، فيها وضخم الحشود والظنون،،، من نحو:

- **بناء الوعي الإسلامي الصحيح .**
- **الصبغة العلمية للتدين**
- **الموقف من الشأن العام وقضايا الديمقراطية والانتخاب والحريات .**
- **الدفع بالعلم والمسار المعرفي والثقافي .**

- صناعة الإنسان الفاعل الرزين .

- تجديد التوحيد والتصدي للمبتدعة .

وأنصح بالعودة لكتب :

- الصحوة الإسلامية للدكتور عبد الكريم بكار.

- زمن الصحوة لاستيفان لا كروا ، أطروحة دكتوراه.

- إرث الصحويين أنفسهم وأشرطتهم والذي أغفله تماما .

- الحركة الإسلامية ثغرات في الطريق للدكتور عبدالله النفيسي.

- طفولة قلب للشيخ سلمان العودة .

- السعودية مسيرة دولة ومجتمع للأستاذ عبدالعزيز الخضر.

- مقالات عدة الشيخ إبراهيم السكران في (صيد الفوائد)

- الحراك الفكري السعودي للدكتور وليد الهويريني والصادر مؤخراً من مركز تكوين .والذي جمعتني به مشكورا ، بعض هذه المقالات في قناة المجد

وثمة كتابان شديدان مثيران يحتاجان إلى تأمل ناقد وردود رصينة وهما (زمن الصحوة، وخطاب الصحوة السعودية) للدكتور محمد بو هلال،،،! فإما أن ينبري لها مفكرو الصحوة، وهو من الجهاد الفكري المطلوب، أو علقنا عليها بعض اللمحات النقدية في الأيام القادمة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

للتواصل

جامعة الملك خالد فرع تهامة

hamzah10000@outlook.com

٠٥٥٢٧٢١٥٢٣